# الجوار عند العرب

## (في الشعر حتى العصر الأموي)

تأليف

الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك

قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com
www.mtenback.com

# الجوار عند العرب

## (في الشعر حتى العصر الأموي)

تأليف
الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

# الجوار عند العرب

## (في الشعر حتى العصر الأموي)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

تأليف
الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

www.mtenback.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

# محتوى البحث

الصفحة


المقدمة ........................................ ٥
دواعي الجوار وأسبابه ........................................ ١٥
الجوار لغة ........................................ ١٩
الجوار في القرآن ........................................ ٢٠
الجوار في السنة ........................................ ٢٣
ماهية الجوار في الشعر ........................................ ٢٥
علاقة الجوار ........................................ ٢٩
حقوق الجار ........................................ ٣٥
حماية الجار ........................................ ٣٧
الفخر بحماية الجار ........................................ ٤٣
إكرام الجار ........................................ ٥١
مدح الجار ........................................ ٥٩
هجاء الجار ........................................ ٧١
الهجاء بخذلان الجار ........................................ ٨٤
الجــارة ........................................ ٩٢
الجارة الحصان ........................................ ٩٦
الجارة المستورة ........................................ ١٠٣
الجارة الطاعمة ........................................ ١٠٩
الجارة الجائعة ........................................ ١١٣
المصادر والمراجع ........................................ ١١٧
فهرس الأعــلام ........................................ ١٣٣
فهرس الشــعر ........................................ ١٣٧


www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك



www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

# المقدمة

إذا كانت الشيم والخصال المحببة كثيرة مشتركة بين الشعوب والأمم والأجناس البشرية - والعرب منهم -، فإن للعرب تميزًا في خصال عرفت عنهم خاصة، ولم تعرف للشعوب الأخرى، بالمفهوم العربي المحدد. ومن ذلك ما يتصل بالجوار الذي أصبح العمل به تراثًا في تاريخهم فرضته طبيعة الحياة بأبعادها المختلفة حتى أصبح تقليدًا في حياتهم الاجتماعية، وترتب عليه في العرف العربي حقوق وواجبات والتزامات أدبية ومعنوية صارت لدى العرب قانونا منظمًا له أسسه وقواعده الثابتة، لا يضعف الالتزام بها، ولا الإيمان بأهمية المحافظة عليها إلا بمقدار ما يترسخ عند الملتزم من شعور بالواجب.

وسأحاول في هذا البحث متابعة التصور لماهية الجوار عند العرب كما جاء وصفه على ألسنتهم من خلال موروثهم الحضاري، والشعري منه خاصة لأنهم - كما هو معلوم - قد أجادوا في جاهليتهم الشعر واحتفوا بالجوار فيه أيما احتفاء. وكان الشعر هو علمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه كما قرر ابن سلام ذلك عنهم[1]. فالشعر سجل لمكارم الأخلاق، وصفوا به أمجاد آبائهم وأجدادهم، وكان اهتمامهم به كبيرًا ولا سيما ما يرصد مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال التي جاء النبي يتممها، كما أثر عنه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]، ومن مكارم أخلاقهم الكرم بمعناه الواسع، والشجاعة، والمروءة، وحماية الجار، والرفق بالغريب، والصبر عند البلوى. وإذا كانت العرب قد أخذت بهذه المكارم قبل الإسلام، فإنها قد استمرت ترعاها بعده

(١) طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢٤.
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢ ص ٧٨١.



www.mtenback.com

حتى يومنا هذا باختلاف نسبي تبعًا للمستجدات والمتغيرات في الحياة وما تحتاجه سنة التطور من تعديل.

وقد أصبح الشعر سجية لهم، وخصيصة من خصائص حياتهم لا ينزلون عنها، ولا يتركونها حتى تترك الإبل الحنين[1] ولم يحلوا مكانه فنًا آخر لقيمتـه عندهم، وعلّو مكانة الشاعر فى نفوسهم أيضًا.

وقد عدوا هذه القيمة الاجتماعية خلقًا من أخلاقهم. والبحث عن مكارم الأخلاق أمر عرفه رواة الشعر وقائلوه، وسجلوا فيه المحامد التي يرون أن لهم فيها بقاء يمر مع الزمن، ويسير مع الأيام وينتقل عبر حقب التاريخ. وكـان الأجواد وأهل الشرف منهم خاصة أحرص الناس على كسب الثناء الحسن. وقد نزل حق الجار منزلة خاصة في نفوسهم، واهتموا به اهتمامًا لا نجد له مثيلاً عند غيرهم، ووصلوا بحق الجار درجة تكاد توصف بالغلو. وقد بقيت مكانة الجار في الجاهلية حية وازدهرت في الإسلام، مع ما طرأ على القيم العربية فيه من تطور وتغير وتنظيم، وعندما أصبح الجوار في الحواضر الإسلامية حقًا تحدده قوانين الدولة، وتعاليم الدين بقى أمره بين سكان جزيرة العرب حقًا مطلقًا لا تحده حدود، وصار في العرف والتقليد الاجتماعي أعظم من حق النفس[2]. وبلغ من عناية العرب بحق الجار ما بعث حوادث تاريخية رددها الرواة وبلغوا بها مبلغ الأساطير[3] وتغنى الشعراء بالمحافظة على حق الجار وتمدحوا بذلك. وحمل الشعر مكنون الضمير العربي فعبر عن حق الجـار، كما صـور الشعراء الإحساس بقداسته في قصائدهم عبر مسارات الزمن وتتابع الأجيـال. وكان

---

(١) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ١ ص ٣٠.

(٢) وردت في المأثور العربي قصص تؤيد ما نقرأ من صور المغالاة بحق الجار وأنه أولى من النفس والمال والولد عندهم، فى ماضيهم وحاضرهم، انظر مثلا أيام العرب في الجاهلية والإسلام وقارن ذلك بما ورد في كتاب «من شيم العرب» للأستاذ فهد المارك - الجزء الثاني - إذ جعل المؤلف فصلا كاملا للجوار فى العصر الحديث وأورد قصصا موثقة لا يكاد يصدقها العقل لتطرفها فى حق الجار والمحافظة عليه، وهذه القصص حدثت في هذا العصر وهي تطابق القصص في العصر الجاهلي والإسلامي الأول التي نتحدث عنها في هذا البحث.

(٣) انظر من شيم العرب للاستشهاد والمقارنة، ج ٢ ص ٥٤.



www.mtenback.com

الحديث عن تلك الحقوق يبعث في النفس الشعور بالسمو والارتقاء نحو درجات الكمال، ويؤثر في عاطفة العربي أشد التأثير. وقد سمع النبى ﷺ قول عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

فسره ما سمع، وتمنى لو رآه لما يحمل معنى شعره من فضيلة، وما يحث عليه من خلق حميد على الرغم من أنه شاعر جاهلي. وقد حفظ الرسول لحاتم الطائي حثه على كريم الخلق فأكرم أهله من بعده[1]. وكان نصيب الجار من شعره قدرًا طيبًا سنأتي عليه في ثنايا هذا البحث وسيكون الجوار هو موضوعنا الذي سندرس ما يتعلق منه بالشعر فيما يلي من الصفحات:

وتحقيقا للأمانة العلمية وإعطاء كل ذي حق حقه فإن أول من قدح زناد هذه الفكرة فى ذهني هو أستاذنا «البروفسور» W. Montgomery WATT وذلك في شتاء عام ١٩٨٠م عندما ألقى حلقة دراسية «سمناراً» على طلاب الدراسات العليا فى جامعة أدنبره، وكنت واحدًا منهم. وكان موضوع المحاضرة حول خصوصية القرآن للعرب وصلته بلغتهم، فزعم أن القرآن قد جاء بمالا يعرف إلا عندهم، وأفاض في الحديث عن آرائه في الموضوع، وحاول إيراد الشواهد التي تؤيد ما يذهب إليه، وعندما أبدى المستمعون اختلافهم معه في ذلك استشهد ببعض الآيات القرآنية التي لا تعرف دلالتها الاجتماعية، وحتمية الالتزام بها إلا عند العرب خاصة ومن ذلك الجوار.

منذ زمان تلك المحاضرة حتى يومنا هذا وأنا أحاول أن أجد الوقت لبحث هذه القضية لا من المنطلق الذي انطلق منه «البروفسور» وات Watt لكن من منطلق التحديد للعرف العربي الذي زعم «البروفسور» أنه لا يوجد فى معناه الشامل، ودلالته الاجتماعية إلا عند العرب خاصة، ولن أتجاوز مفهوم العرب له إلى ما سواهم من الأمم الأخرى لأن القصد هو توضيح المعنى المحدد،

---

(١) قال النبى ﷺ لسفانة بنت حاتم الطائي عندما أسرها المسلمون: «خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق». خزانة الأدب، ج ٣ ص ٨.



www.mtenback.com

والعلاقات المترتبة عليه في العقل العربي دون سواه. وعندما عزمت على بحثه بعد هذا الوقت الطويل خطر ببالي أمران:

**الأول**: هو أن طبيعة البحث في موضوع الجوار تقليدية لا تفسح مجالا للجدل واختلاف الآراء ولا تثير القبول لدى فئة من الناس أو الرفض لدى فئة أخرى إلا في مجال التأويل لبعض المواقف، والتفسير لبعض النصوص الشعرية، لأن الجوار نفسه تقليد عربي راسخ الجذور في الشعر والنثر، ويتكئ على مسلمات اجتماعية مفضلة لدى العرب، وقد خلد الشعر والنثر والمثل السائر هذا العرف تخليده للأجواد عبر العصور التاريخية.

**الثاني**: ظننت أن الدارسين الأقدمين والمعاصرين قد أشبعوا موضوع الجوار بحثا، وقتلوه دراسة وتنقيحًا وما عسى أن أضيف إلى دراساتهم وبحوثهم؟!. وأمام هذا الظن كدت أصرف النظر عن مجرد البحث فيه بناء على ما رسخته الظنون من أن الأول لم يترك للتالي شيئًا. وأثناء الاستغراق في التفكير أسعفتني الذاكرة بقول عنترة بن شداد:

هَـلْ غَـادَرَ الشُّعَـراءُ مِن مُتَـرَدَّمِ ... أم هَلْ عَرَفْت الـدَّار بَعـد تَـوَهُّمِ

وجاء إلى ذاكرتي ردفا له قول كعب بن زهير بن أبي سلمى(١).

مـا أرانَـا نَقُـولُ إلا مُعَـارًا ... إو مُعَـادًا من قَـوْلِنـا مَكْـرُورًا

فنظرت في الماضي، وإذا هذان الشاعران قد ظنًا مثل ظني، بأنهما قد سبقا إلى كل معنى يمكن أن يقولا فيه شعرًا، وتذمرا من السبق وخشيا ألا يضيفا شيئًا ذا بال، ولكن ظنهما لم يمنعهما من قول الشعر فكانا علمين من أعلامه، وفارسين من فرسانه خلدا به مع الخالدين.

وجاء بعد عنترة أجيال من الشعراء، لم يمنعهم علو كعب السابقين من أن يقولوا من الشعر ما يمكن أن يقال: إنهم بزوا به من سبقهم من الشعراء. فالإحساس بتفوق السابقين وفضلهم موجود في النفوس إلا أن رحمة ربك بعباده

(١) مناسبة البيت غير ما يظهر من معاني ألفاظه.



www.mtenback.com

جعلت هذا الاحساس حافزًا يدفع اللاحقين إلى محاولة الإبداع، وتخطي حاجز الخوف، وإعادة النظر فيما أجاد السابقون فيه ثم إضافة لما أملته السنون من التجارب ولما استجد مع العصور من فنون الآداب، والنظرة المتجددة نحوها، لتكون سلسلة الأفكار الإنسانية متصلة جذورها وفروعها، لا ينضب معينها ولا يصوح ربيعها.

من أجل ذلك رأيت أن يسبق بحثي فى الجوار نظرة فاحصة فيما خلفه الفكر العربي من دراسات حول هذا الموضوع، لتحديد مسار البحث، ومعرفة موضع القدم في فن طرقه الشعراء فى الجاهلية والإسلام، وبعد ذلك معرفة ما إذا كان هذا الموضوع على شهرته قد خص بعناية الباحثين من قدماء أو محدثين، وما الذي يجب أن يناقش من قضايا حول مسألة الجوار من خلال معرفة مكانته عندهم، ثم ما الذي سيقدمه البحث إلى قراء الأدب ومنشدي الشعر ومحبي مكارم الأخلاق؟!.

وبعد تردد مصحوب بشعور يدعو إلى محاولة خوض غمار البحث في مجال الشعر الذى يتناول الجوار خاصة وجدت أني أنجذب نحو معالجة هذه القضية. واضعًا فى حسابي أن دراسة الشعر في موضوع الجوار إن لم تضف جديدًا فلا أقل من أن تكون منهجية في العرض، آخذة في الاستقصاء، معتمدة إلى تأليف ما تقسمته الدراسات السابقة أو مفصلة ما أجملته كتب المؤلفين. وفى أحسن الأحوال إضافة رأي متواضع حول هذا الخلق العربي والتقليد الاجتماعى المحمود فى تراثنا الخالد في الجاهلية والإسلام، آملا إن فاتني باب من هذه الأبواب ألا يفوتني فضل الباب الآخر.

ومادة هذا البحث ستقوم على الشعر، واستخراجه من دواوين الشعراء أو المجموعات الشعرية منذ الجاهلية حتى عصر بني أمية ثم دراسة النص لاستقراء قيمة الجوار عند العرب ومكانته فى نفوسهم.

وإذا كان لابد من الرجوع إلى من تعرض بالدراسة للموضوع من قريب أو بعيد، فإن أحدًا لم يخص الجوار بدراسة مستقلة - فيما أعلم - تجمع ماقيل فيه من الشعر وتعتمده مادة للتحليل.



www.mtenback.com

ولكي يكون العرض موضوعيًا، فإنه لا بد من معرفة الجهود السابقة وما قدمته من معالجات تلمس هذه القضية. وبذا يتضح أن أمامنا من الدراسات نوعين:

**الأول**: الدراسات القديمة في الأدب العربي وفي التراث الإسلامي وهي دراسات لا تهتم بالجزئيات الصغيرة، وإنما تعمد إلى الحديث عن الموروث الحضاري والفكري وتأخذه وحدة واحدة، فتورد الأمثال والشعر والقصص حول موضوع من موضوعات الأدب. فنرى مثلا تحت الباب الواحد، الحديث عن الجوار والشعر فيه والطرائف عنه والقصص حوله فى حين أن كتب الدين وفلسفة الأخلاق تجعل الجانب الديني للجوار هدفها، وتورد الأحاديث والمواعظ فيه، وتبين حقوق الجار في الإسلام، وتحث عليها وتظهر أن رعايتها من مكارم الأخلاق.

وقد ألف الإمام الذهبي كتابًا سماه (حق الجار) لم يورد فيه غير الأحاديث النبوية. وكتب محمد بن جعفر الخرائطي كتابًا عن مكارم الأخلاق ومعاليها، وجعل أحد فصوله مفردًا عن حفظ الجار وحسن مجاورته وحقه، أورد فيه تسعة وأربعين حديثا نبويا عن الجوار وفضل إكرام الجار. كما ألف أبو بكر بن أبي الدنيا كتابًا عن مكارم الأخلاق وجعل في آخره بابا فيه أحاديث عن حقوق الجار من وجهة النظرة الشرعية.. ولم أطلع على كتاب قديم تناول الجوار من نظرة الشعر خاصة. ولا أعرف عملا تناول الجوار من هذا الجانب فى الموروث الأدبي القديم.

أما الدراسات الحديثة المتخصصة فلم يصل إلى علمي أيضًا أن بحثًا تناول موضوع الجوار في الشعر أو النثر، ولا اطلعت على دراسة وافية فيه. لكن هناك جهودا مشكورة، ودراسات قيمة تناولت موضوعات أدبية وتاريخية وحضارية، وكان لابد أن يتطرق الباحثون ولو عرضا إلى الجوار وقيمته الاجتماعية في دراساتهم.

ومن هذه الدراسات ما تمت على أيدي باحثين مشهود لهم بالقدرة على



www.mtenback.com

معالجة قضايا الأدب وفنونه إذ عرضوا لموضوع الجوار في الأعراف والتقاليد العربية ضمن ما عرضوا من الصور الاجتماعية الأخرى. فأوردوا فى سياق بحوثهم ما يناسب حاجتهم من الدرأسة لأنهم إنما يعالجون قضايا أدبية وتاريخية يكون الجوار طرفًا مهما فيها.

وأهم من تعرض للحديث عن الجوار فيما اطلعت عليه الأستاذ الدكتور يوسف خليف في كتابه «الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي» حيث طرق موضوع الجوار وهو يتحدث عن حياة الخليع إذا تخلت عنه قبيلته، ونبذه أهله فلجأ إلى من يحميه فقال:

«وهنا يجد الخليع نفسه أمام مشكلة خطرة هي مشكلة الحياة أو الموت لقد سحبت منه الجنسية القبلية ورفعت القبيلة عنه حمايتها، وطردته من حماها، ولم يعد أمامه إلا أن يلجأ إلى من يحميه ويعيش فى جواره، ومن هنا كانت نشأة قانون آخر من قوانين المجتمع الجاهلي، وهو «قانون الجوار»[1].

ثم تحدث الأستاذ الدكتور خليف عن قانون الجوار في صفحتين من كتابه، وذكر قيمته وأهمية المحافظة عليه وأنه يعد عرفًا مقدسًا عند العرب في الجاهلية ولم يورد من الشعر شيئًا. وفي كتاب «الشعراء الصعاليك فى العصر الأموي» تناول الأستاذ الدكتور حسين عطوان الجوار بشيء من الاختصار ضمن حديثه عن العامل الاجتماعي، فقال: «ولم تقف التأثيرات القبلية التي انسابت إلى العرب من الحياة الجاهلية عند تمسك كل قبيلة بأنسابها وتعصبها لأبنائها، ولا عند بعثها لقانون الأخذ بالثأر، فقد كان لها مظهر آخر، وهو قانون الجوار والاستجارة، إذ كان العرب في الجاهلية يستجير الضعيف منهم بالقوي والذليل بالعزيز. وهكذا ظلوا في الإسلام». ثم تحدث الأستاذ الدكتور عطوان عن الجوار من منطلق اجتماعي[2] وذكر أن العرب في الإسلام حافظت عليه ولم تضعف قيمته عندهم، وجاء ببيتين للفرزدق يستشهد بهما على ما للجوار من حرمة وعلى تمسك العرب به.

---

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٩٣.
(٢) الشعراء الصعاليك فى العصر الأموي، ص ٥٣.



www.mtenback.com

ثم جاء الأستاذ الدكتور شوقي ضيف فى كتابه تاريخ الأدب العربي فقال وهو يصف السيد في المجتمع القبلي الجاهلي[1].

«ولا بد له أن يبذل المال والنفس فى جنايات القبيلة وأن يسارع إلى النجدة والحرب وأن يكون كريما مضيافا، إذا نزل به جار أضافه وأعانه وحفظ له كل ما يمكن من حقوق الجوار. . بل لا بد له من أن يستمع إلى كل فرد من أفراد القبيلة، فهم جميعًا أكفاء يتساوون فى الحقوق. ومن أهم ما يدل على هذه المساواة نظام الإجارة، وهى حق التوطن فى القبيلة إذ كان لكل فرد فيها أن يجير من يشاء، وإذا أجار شخصًا أصبحت قبيلته ملزمة به، وأصبح له ما لأفرادها من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات».

ثم عاد إلى الموضوع مرة أخرى في الفصل المخصص للأحوال الاجتماعية في الحياة الجاهلية فقال وهو يتحدث عن طبقات مجتمع الجاهلية[2]: «ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها».

وعندما ذكر وفاء العرب ذكر الجوار شاهدًا على تمسكهم به فقال:[3] «وكانوا لا يقدرون شيئًا كما يقدرون الوفاء فإذا وعد أحدهم وعدا أو فى به وأوفت معه قبيلته بما وعد، ومن ثم أشادوا بحماية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهدا أن ينصروه». ولم يعرض الأستاذ الدكتور شوقي ضيف للشعر ولا استشهد بشيء منه.

كما تعرض الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفي لإعزاز العرب للحليف والجار فى كتابه «الحياة العربية من الشعر الجاهلي» وذكر حميتهم لهما وفخرهم بذلك

---

(١) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ٦١.
(٢) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ٦٧.
(٣) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ٦٩.



www.mtenback.com

وأتى بأبيات من مأثور الشعر وأخبار عن تقاليدهم الاجتماعية في أربع صفحات من كتابه.

أما الدكتورة وفاء السنديوني فقد ذكرت الجوار فى كتابها «شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية» مرتين، الأولى تحت عنوان[1] «الجوار» وقد عرفت الجوار لغة وعرضت لقيمته الاجتماعية وذكرت بعض حالات الجوار وأوردت ستة أبيات من الشعر، بيت لرجل من بني عامر وخمسة أبيات لزهير بن أبي سلمى، ثم عادت إليه تحت عنوان «موقف الإسلام من الجوار»[2] وقالت: إن الإسلام لم يلغ الجوار وذكرت أن النبي ﷺ استجار وأجار، وأوردت روايات على مضمون الجوار واحترام العرب له في صدر الإسلام كما كانوا يحترمونه في الجاهلية، ولم تعرض شيئًا من الشعر في هذا الموضع.

أما الدراسات الحضارية والتاريخية التي عرضت للجوار فمنها ما أورده الدكتور حسين الحاج حسن في كتابه: «حضارة العرب فى عصر الجاهلية» حيث ذكر - وهو يسرد أثر البيئة الجاهلية - الجوار وقيمته عند الجاهلين واحترامهم له وتقديرهم للجار وذكر قصصا من المبالغة في حمايته، حتى إنهم كانوا يجيرونه من الموت واستشهد وهو بسياق الحديث عن قيمته الحضارية بعدد من الأبيات لأربعة من شعراء الجاهلية يذكرون فضل الجوار ويفخرون به، ويحافظون عليه[3].

كما كتب المؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور جواد علي فصلا عن المجتمع العربي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» عرض فيه للجوار وجمع - كعادته - كل ما يتعلق بالجوار من بعيد أو قريب، ووصف علاقات العرب وقيمة الجوار في هذه العلاقات وأهميته للحياة الجاهلية، ومثل على أنواع الجوار واستغرق ذلك منه ست صفحات من تاريخه لم يرد فيها غير بيت واحد من الشعر جعله في حاشية إحدى صفحات بحثه[4].

---

(١) شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية، ص ٢٨

(٢) شعراء صدر الإسلام. ص ٥٣.

(٣) حضارة العرب فى العصر الجاهلي، ص ١٠٤

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ٣٦٠.



www.mtenback.com

هذا ما اطلعت عليه من دراسات حديثة وقد استفدت منها إلا أنها كما يرى القارئ تصف غرضًا محددًا من الجوار وتبين قيمته الاجتماعية وأهميته في التركيب الاجتماعي مع سياق يتفق مع ما يريدون عرضه، ولم يقصد أحد منهم الجوار بذاته ولا عمد إلى دراسته من باب الشعر إنما جاء حديثهم عنه مربوطًا بنسق الموضوعات التي يدرسونها وهي موضوعات تعرضت لبنية اجتماعية، أوعلاقات حضارية، أو فكرية فأخذ كل باحث ما يخدم غرض دراسته من زاوية تهمه.

فالباحثون الثلاثة الأولون تناولوا الجوار وهم يصفون فئة من المجتمع القبلي هى فئة الصعاليك في العصرين الجاهلي والأموى، وتحدثوا عن عامل الجوار بالنسبة لهذه الفئة وأهميته لها، بينما كان حديث الباحثة السنديوني عن القيم الاجتماعية في شعر صدر الإسلام والجوار منها، وتعرض الباحثان الأخيران لموضوع الجوار وهما يتحدثان عن جانب حضاري وجانب تاريخي فى الفكر العربي والإسلامي.

ولهذا وجدت أن جمع الشعر الذي تناول حق الجار في الأدب العربي حتى نهاية عصر بني أمية، وخصه بدراسة مستقلة أمر معقول، وقد تكون دراسته نافعة إن شاء الله، وأن الاعتماد على المادة الشعرية يمكن أن يصلح بحثًا يخدم هدفًا من أهداف المعرفة ويضيف شيئًا يجد قراء الأدب ودارسو التراث العربي فيه نفعًا. فألممت بالموضوع من هذا الجانب وما توفيقي إلا بالله.

موقع الكتب العربية www.mtenback.com



www.mtenback.com

**دواعي الجوار وأسبابه:**

على الرغم مما جبل عليه الإنسان من حب للحياة المطمئنة الهادئة إلا أن النظام الاجتماعي فى الجزيرة العربية قبل الإسلام قام على الانفصال والتباعد بين القبائل، فاعتمد الناس على القوة والشجاعة ومقارعة الخطوب، وغاب الأمن عن واقعهم فاشتدت حاجتهم إليه، وقوي شعورهم بأهميته في حياتهم. فالتمسوا السبل إلى ما يحقق لهم الاستقرار، واحتاجوا إلى قانون يأمن فيه الخائف ويتبلغ به المسافر ويلجأ إليه الضعيف ليأمن الظلم وقسوة الطبيعة.

وفي سبيل بحث العرب عن الأمن والاستقرار لجأوا إلى المقدسات المكانية، وجعلوا الكعبة وما حولها مكانًا آمنا يقي أهله من العدوان، ويهيء الاطمئنان النفسي للمقيمين فيه، ثم جعلوا الشعائر الدينية كالحج والعمرة مأمنا للحجاج والعمار ويكفي أن يقول المسافر إنني جئت حاجًا أو معتمرًا فيصير آمنا[١].

واختارت العرب الزمن أيضًا لتجد فيه أمنًا فقسمت الأشهر إلى حرم وغير حرم، وكانت الأشهر الحرم فترة أمن للخائفين لا يجوز فيها حرب ولا يحل فيها قتال وبلغت بها أربعة أشهر[٢] - ثلث العام - وعظمت حرمتها وسمت ما وقع فيها من حروب الفجار تقبيحًا لها وتنفيرًا[٣]. وحاولت العرب أن تلتزم بأمن الحرم في حدوده المعروفة عندهم. ومع بحثهم في الزمان والمكان ليكون لهم أمن، فإن البحث عن ملاذ آخر يمد ظل الأمن فى حياتهم إلى مساحات أرحب كان ضرورة اجتماعية، فنظروا في عاداتهم وما جبلوا عليه من حب للمروءة وكرم الأخلاق والنجدة ومساعدة الضعيف، فوجدوا فيها ما ينهض بما يريدون من أمن فعدوا الجوار مصدرًا أمنيًا يمد ظله في أرجاء الجزيرة في الأوقات كلها

---

(١) الأغاني، ج ٢٢، ص ٧٥.

(٢) يقول الله فى محكم التنزيل: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ سورة التوبة - الآية ٣٦.

(٣) الأغاني، ج ٢٢ ص ٦٠.



www.mtenback.com

لا يرتبط بمكان ولا زمان، ويوفر الاستقرار في النفوس المبهوتة ويبعث الأمل فيها ويقدم العون للضعفاء والعاجزين عن حماية أنفسهم أو ما لهم أو أعراضهم من بطش القوة الغاشمة.

وحياة الجاهلية حياة لا يحكمها سلطان ولا يقوم على تنظيمها قانون ولا تشريع تسنده قوة منظمة فأصبحت البيئة الاجتماعية في الجزيرة تضطر من يعيش فيها إلى استعمال القوة والاعتماد عليها، واللجوء إلى البطش إذا لم يكن هناك رادع يردع أو توازن يمنع. فصار الجوار عندهم هو الرادع الذي يحد من غطرسة القوة ويقلل من عدوان البطش الظالم على من لا يستطيع الدفاع عن نفسه[1]. وقد قويت أسباب الجوار فأقرته العرب عندهم وجعلت احترامه والعمل به إحدى قواعد التعامل المتفق عليه فصار قانونا مقدسًا وأصبح تقليدًا اجتماعيًا راسخًا، وبلغ من الاهتمام به ما جعل صلة القربى ورابطة النسب أقل منه شأنا عند بعضهم[2].

وقد جاء العمل بقانون الجوار على صور كثيرة وأنماط شتى حفلت بها كتب الأدب والتاريخ والقصص والأمثال وجاءت على هيئات وكيفيات متعددة ولم تكن لها صورة واحدة تحدد كيف يطلب الجوار وكيف يتم ذلك. إلا أن الميزان الثابت الذي لا يتغير في الحالات كلها هو ميزان القوة في كفة والضعف في كفة أخرى. فإذا قوي شخص أو قبيلة أو فئة بأي سبب من أسباب القوة، وضعف شخص أو قبيلة أو فئة لسبب من أسباب الضعف، أتى الجوار بين الضعيف والقوي على كيفية تحددها اللحظة التي يتم بموجبها الجوار. فقد يحدث فجأة أن يلجأ المطارد إلى بيت ليس فيه من يدافع عنه غير النساء فتنهض المرأة بالجوار والحماية[3]، وقد يكون سبب الجوار قرابة[4] أو مكافأة على إحسان سابق[5].

(١) انظر أسباب حلف الفضول، الأغانى. ج ١٧، ص ٢١٠.

(٢) انظر قصة خداش بن زهير مع قيس بن الخطيم، الأغاني، ج ٣، ص ٧، وديوان قيس بن الخطيم. ص ٢٥١.

(٣) انظر قصة إجارة أم جميل لضرار بن الخطاب، المحاسن والأضداد، ص ٥٢.

(٤) أجار أبو طالب أبا سلمة لأنه ابن أخته، السيرة، ج ٢، ص ١٥

(٥) انظر قصصا عن ذلك في مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٣٧٨.



www.mtenback.com

وقد يجير السيد على قبيلته فتلتزم القبيلة بحرمة جوار سيدها وتعينه على الوفاء بذلك[1] أو أن يجير أحد أفرادها عليها فتقر جواره[2] أو أن يحل الضعيف ضيفًا في منزل رجل من العرب أو في حي من أحيائهم فيلزم جواره وحمايته[3]. وقد يتحرم المستجير بالطعام فيجيره من يطعمه أو الشراب أو رفقة السفر أو يمت بصلة ما إلى المجير[4].

وقد يجير الرجل أو سيد القبيلة ملكا في حالة ضعف نسبي بين الطرفين كما فعل عروة الرحال عندما أجار لطيمة النعمان بن المنذر[5] أو أن تجير قبيلة قبيلة أخرى لترعى في ديارها أو ترد مياهها وتعيش معها حتى تعود بعد انقضاء الجوار، أو غير ذلك من الحالات التي تجعل الجوار عاملا بين طرفين - مجير ومستجير - لكن أشهر أشكال الجوار هو أن يطلب الضعيف العاجز عن حماية نفسه أو ماله جوار رجل يوفر له الأمن والحماية فيقبل الرجل أن يجيره ويستعد للدفاع عنه. وفي بعض الحالات يحدد المستجير نوع الحماية التي يريدها ويكون له من الأهمية ما يجعل الناس ترغب في جواره، وتذعن لطلبة مثلما فعل الأعشى يوم طلب من علقمة بن علاثة أن يجيره من الإنس والجن فقبل، ثم طلب منه أن يجيره من الموت أيضا، فلم يعرف سبيلا للإجارة من الموت، فتركه وبحث عن مجير يجيره من الجن والإنس والموت أيضا فوجد ذلك الرجل[6]. وفي مقابل هذه الحال يوجد حال آخر لا يجد فيها المستجير من يجيره فيبحث عن الأمن والحماية في كل مكان وعند كل من يظن أن به خيرا، وكلما رفضه مجير بحث عن غيره. وقد فعل ذلك رسول الله (ﷺ) في أول أمره عندما رجع من الطائف وأراد دخول مكة فأرسل إلى الأخنس بن شريق فاعتذر عن إجارته زاعما أنه حليف لا يجير على الصرحاء، ثم بعث إلى سهيل بن عمرو فاعتذر عن إجارته زاعما أن قبيلته لا تجير على بعض قبائل قريش. وواضح أن عذر الأخنس

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٢) السيرة، ج ٣، ص ١٠٤.

(٣) انظر ديوان قيس بن الخطيم، ص ٢٠٥.

(٤) الأغاني ١٢٧، ص ٢٥٥.

(٥) الأغاني، ج ٢٢، ص ٦٥.

(٦) الأغاني، ج ٩، ص ١١٧.



www.mtenback.com

وسهيل لا يراد منهما غير عدم الرغبة في جوار النبي (ﷺ)، ثم بعث إلى المطعم بن عدي فأجاره[1].

كما يبدو أن ظروف المستجير وأحوال المجير لها حكم في عملية الجوار وكيفيته، فقد وجدنا من العرب من يجعل أهون الأسباب سبيلا إلى قبوله الجوار والنهوض بحق المستجير كفعل الحارث بن ظالم المري مع عياض بن ديهث حيث زعم الأخير أنه وصل رشاءه برشاء الحارث بن ظالم وأنه يعد ذلك جوارا ما دام الماء في بطون إبله، فأقر الحارث جواره وطالب النعمان به[2].

كما أجاروا ما ليس إنسانا إذا نزل حول بيوتهم حتى لو كان لا يعقل ولا يستجير مبالغة في الكرامة والعزة وتحديا لأحد أن يخفر الجوار مثل ما فعل مدلج بن سويد الطائي الذي نزل الجراد حول خبائه، فمنع أحدا أن يصيده حتى طار وبعد عنه[3]، وكان كليب يجير الصيد فلا يعرض له أحد[4].

وما دام ميزان القوة هو الحكم فقد يصبح المستجير مجيرا ويتحول المجير إلى مستجير مع تحول ميزان القوة كما حدث هذا في قصة سبيعة بنت عبد شمس زوج مسعود بن معتب الثقفي، فقد جعلت خباءها لقريش من دخله؛حل في جوارها وجوار زوجها وكلما ضاق الخباء مدته ليتسع حتى غضب مسعود من ذلك. فلما دارت الدائرة على قيس وانهزموا دخلوا خباءها مستجيرين به فأجار لها حرب بن أمية من دخل الخباء، أو دار حوله حتى سمي مكان خبائها مدار قيس[5]، وأجارت فكيهة - خالة طرفة - السليك بن السلكة ومنع قومها جارها[6]. وأشهر من ذلك جوار خماعة بنت عوف بن محلم مروان القرظ أشهر فرسان العرب فقد أجارته مكافأة له على فكه أسرها عندما أسرت، وكان جوارها نافذًا على ملك الحيرة عمرو بن هند[7].

ومن هيئات الجوار الاستجارة بقبور الموتى فيكون على الأحياء واجب الوفاء

---

(١) الطبري، ج ٢، ص ٣٤٧.
(٢) بلوغ الأرب، ج ١، ص ١٣٣.
(٣) مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢٢١.
(٤) الأغاني، ج ٥ ص ٢٩.
(٥) الأغاني، ج ٢٢، ص ٧٤.
(٦) مجمع الأمثال ج ٢، ص ٣٧٨.
(٧) مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٧٨.



www.mtenback.com

بالجوار وحماية المستجير بالقبر، وقد اتسع مفهوم الجوار والعمل به حتى عد بعض الباحثين المحدثين الشفاعة من الجوار. وذكروا روايات تعد شفاعة لا جوارا لأن الجوار يقوم على الحماية بالقوة والتحدي. أما ما يلجأ إليه المجير من طلب العفو من السلطان أو الوالي عمن استجار به أو إكرامه أو غير ذلك، فلا يعد جوارا، بل شفاعة، وقد مارس العرب في العهد الأموي الحالين، الشفاعة لمن استجار بهم والإجارة بالقوة عندما يختل الأمن ويضعف سلطان الخليفة أو الوالي[1]. وحيث إن هدف هذا البحث هو مدلول الجوار وقيمته الاجتماعية في الشعر فليس هناك حاجة للتفصيل في أحوال الجوار وهيئاته والفوارق الدقيقة بين حالة وأخرى إذ سوف يتعرض البحث لكل هذه الأمثلة عندما يعرض نصوص الشعر في مواضيع الجوار.

موقع الكتب العربية www.mtenback.com

**الجوار لغة:**

جاء في معاجم اللغة عن مادة «جور» الجار الذي يجاورك، وجاور بني فلان تحرم بجوارهم، والجار الحليف، والجار الناصر، والجار الجنب ألا يكون له مناسب فيجيء إليه ويسأله أن يجيره أي يمنعه فينزل معه، فهذا الجار الجنب له حرمة نزوله في جواره ومنعته وركونه إلى أمانه وعهده. واستجاره سأله أن يجيره وفي التنزيل: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾[2]. ويقال للذي يستجير بك جار، وللذي يجير جار، والجار: الذي أجرته من أن يظلمه ظالم. والجار والمجير والمعيذ واحد. وهو سبحانه يجير ولا يجار عليه، أي يعيذ. وقال لنبيه ﷺ ﴿قل: إني لن يجيرني من الله أحد﴾[3] أي لن يمنعني من الله أحد. وجاء في صحاح الجوهري تحت المادة نفسها قوله: والجار هو الذي أجرته من أن يظلمه ظالم. قال أبو جندب الهذلي[4]:

(١) مثال الحال الأول شفاعة الفرزدق لدى تميم بن زيد في رجل استجارت أمه بقبر غالب أبي الفرزدق حتى يرد ولدها المبعوث مع جيش تميم بن زيد فقال في شفاعته:

أتتني ولاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافي عليها ترابها

والثاني: استجارة عبيد الله بن زياد بالأزد عندما مات يزيد بن معاوية واختل الأمن وثارت الفتنة في العراق.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦.

(٣) سورة الجن، الآية ٢٢.

(٤) انظر الصحاح، ولسان العرب مادة «جور» وديوان الهذليين جـ٣، ص٩٢.



www.mtenback.com

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حَتَى يَنْصِفَ السَّاقَ مِئْزَرِي

ومن هذا العرض اللغوي يظهر أن معنى الجوار هو الحماية والنصر من القوي القادر للضعيف، وإعطاء الأمن ورد العدوان. وقيام الرجل أو الجماعة أو القبيلة بحسن الجوار وبذل الحماية لمن لا تجب له بسبب غير الجوار يعد عرفا محمودا عندهم. وهو في المقابل دليل على قوة المجير وسيادته في قبيلته عندما يجير عليها فتذعن لجواره وتحفظ عهده. كما تعد حاجة المستجير إلى الحماية وانضواؤه تحت كنف القوة ليأمن البطش والخوف الذي يخشاه على حياته أو ماله أو عرضه دليلا على ضعفه وتنازله عن حقه في الدفاع عن نفسه إلى من استجار به.

**الجوار في القرآن:**

إذا وصلنا إلى الإسلام وجدناه يؤصل حق الجار ويؤيد ما تقوم العرب به من إكرام له، ويقوي الاهتمام به، ويرسخ الإيمان بمضمونه الاجتماعي، ويجعل حفظ الجوار أحد أسس قيام المجتمع المثالي. وقد نص عليه الرسول (ﷺ) في أول عهد كتبه بين المهاجرين وأهل المدينة، كما جاء في سيرة ابن هشام: «وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنها لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها»[1]. وقد أخذت وثيقة المدينة المنورة المعنى الشامل للجوار وأدخلت في ذلك الحقوق المعروفة في الجاهلية وزادت فأضفت عليها جمال الصبغة الإسلامية، وأخذ التشريع الإسلامي يوسع حقوق الجار وينظمها وجعل للجوار منطلقات إيمانية، ووضع أسسا تقوم على استغلال قناعة العرب في الجاهلية وتضيف إليها الترغيب في الأجر والثواب على أساس المعاملة الحسنة والبر والرحمة بالإنسان. وكان نزول القرآن معلنا تأييد المروءة العربية والخلق الصميم الذي نشأ في الجزيرة وقوي مع الأيام في حياة العرب، فشدد على حق الجوار، وقد ذكر ذلك في ثمانية مواضع منه تعددت بتعدد المناسبات والحالات التي عرضها التنزيل من ذلك قوله تعالى: ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾[2] وفي تفسيرها قال القرطبي:

---

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٨٨.



www.mtenback.com

«أي، يمنع، ولا يمنع منه، ويؤمن من شاء ولا يؤمن من أخافه، أي من أراد الله إهلاكه وخوفه لم يمنعه منه مانع، ومن أراد نصره وأمنه لم يدفعه من نصره وأمنه دافع»[1]. وجاء في سورة الجن قوله تعالى: ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾[2]. يقول القرطبي في تفسيرها: «لا يدفع عني عذابه أحد...»[3]. أما سورة الأحقاف فجاء فيها المعنى نفسه: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾[4]. والمعنى هنا بمعنى المنع من الوقوع في النار والحماية من الوصول إليها، يقول المفسرون، ومنهم القرطبي: «ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم»[5]، وفي الموضع الرابع جاء النص القرآني مطابقا لدلالة المعنى عند العرب ومشابها له في التقرير الذي كان يفهم من الآية، فقال تعالى في سورة الأنفال حكاية عن إبليس: ﴿وإني جار لكم﴾[6] حيث تمثل الشيطان بصورة سراقة بن مالك - كما تروي السير - وجاء إلى قريش ليعلن لهم جواره وحمايته وعونه لتقوى قلوبهم على حرب النبي والمسلمين في يوم بدر والنص صريح بمعنى النصير والحليف والمعين في الحرب[7]، كما جاء في معنى آخر مختلفا بعض الاختلاف وذلك في سورة التوبة إذ جعل الجوار لغاية ثم ينقضي فقال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾[8]. يقول المفسرون في المقصود من الآية أمنه حتى يسمع كلام الله تتلوه عليه ثم رده بعد سماعه إلى مأمنه حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين إن لم يسلم[9].

---

(١) تفسير القرطبي، ج ١٢، ص ١٤٥.
(٢) سورة الجن، الآية ٢٢.
(٣) تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٢٦.
(٤) سورة الأحقاف، الآية ٣١.
(٥) تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٢١٧. ولم تذهب بقية كتب التفسير بعيدا عما جاء في تفسير القرطبي. وقد اكتفينا بما جاء في تفسيره حتى لا تتكرر النصوص من تفاسير أخرى.
(٦) سورة الأنفال، الآية ٤٨.
(٧) تفسير القرطبي، ج ٨، ٢٦، ٢٧.
(٨) سورة التوبة، الآية ٦.
(٩) تفسير الطبري، ج ٤، ١٣٨.



www.mtenback.com

على أن الإمهال بعد انقضاء العهد أو الجيرة حتى يصل المجاور إلى مأمنه عادة معروفة عند العرب في الجاهلية فقد كانوا يمهلون بعد انقضاء الجوار وبعد إعلان الحرب زمنا يمكنهم من الافتراق والبعد والاستعداد للحرب أو الدفاع عن النفس. وقد أضفى القرآن معنى الأمن بحرمة الجوار حتى لغير المسلمين وطلب أن يجاب الكفار إليه إذا طلبوه، قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ أي إذا سألك جوارك وأمانك فأعطه الأمان حتى يسمع القرآن فقد حل الجوار هنا بمعنى الأمان. وقد ترتب على الحق العام حق فيه تفصيل للتعامل بين الجيران فقال تعالى: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾[1].

وقد بين المفسرون الحقوق لهؤلاء الجيران من ذوي القربى والبعيدين. فقال الطبري: «إن الآية تعني الجار الغريب يكون في القوم لا قرابة بينك وبينه. وقد كان العرف العربي يجعل حق الجار الغريب أقوى من حق الجار القريب كما نفهم من بيت أعشى بني قيس إذ يقول[2]:

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عن جَنَابَةٍ فكَانَ حُرَيْثٌ فى عَطَائِيَ جَامِدًا

فهو يتوسل إلى الحارث بن وعلة ببعده عنه وغرابته منه، مؤملاً أن يكون حق الغريب أقوى من حق القريب والتوافق بين معنى الآية والبيت واضح كما نرى. ومثل ذلك قول علقمة الفحل[3]:

فَلاَ تَحْرِمَنِّي نَائِلاً عن جَنَابَةٍ فَإني امْرُؤ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

وهذا من الأدلة على أن الجار الغريب يلزم الوفاء له لأن له حق الضيافة والغربة والجوار فيتضاعف عامل البر به والاحسان إليه دون ما سبب يتوصل به غير مروءة المتفضل وأريحيته، وهو ما تعارفت عليه العرب من حق يرون الوفاء

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٢) ديوان الأعشى، ١١٥. هو الحارث بن وعلة انظر الكامل للمبرد جـ١ ص٩٠٢.

(٣) المفضليات، ص ٣٩٤، وديوان الفحل، ص ٤٨.



www.mtenback.com

به للغريب[١]. ولا نريد أن نقفل باب النقل من نصوص القرآن قبل أن نشير إلى ورود آية في سورة الأحزاب وهي الآية الوحيدة التي نصت على الجوار المكاني الذي لا يترتب عليه حق يرعى، وجعلت من ينزل منك قريبا هو جار ولو كان عدوا ممن يجب الابتعاد عنهم أو إبعادهم فقال تعالى: ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾[٢]. وهو نص صريح باعتبار الجوار المكاني وليس غير ذلك، وهو جوار مجرد لا يترتب عليه حق ولا ترعى فيه ذمة، وقد وعد بإخراج من يؤذي جواره وابعاده عن نبيه حتى تبرأ الذمة وتسقط حقوق الجوار بعد الانتقال والبعد فتكون الحرب.

**الجوار في السنة:**

أما السنة فقد أكدت حقوق الجار وجعلتها من تمام الإسلام وأمرت باحترامها وعظمت الوفاء بها، كما حددت الجوار وميزته من غيره، وجعلته جوار المنزل والقرابة في السكن، وهو أمر متفق مع فلسفة الإسلام، وضرورة قيام الدولة بوظيفتها الطبيعية وهي توفير الحماية للفرد والجماعة والقبيلة فلم يعد هناك حاجة لحماية الجار التي كانت سائدة قبل قيام الدولة في المجتمع العربي. وقد أصبحت الحماية للإنسان فيه مسلما كان أو كافرا أو معاهدا حقا من حقوق الدولة التي يجب ألا تسمح بأن يمارس أحد سلطته الخاصة مع سلطتها التي وفرت الأمن للناس كافة دون تمييز، لا تنظر إلى قرابة ولا نسب أو سبب فأصبح معنى الجوار في المجتمع المنظم ترعاه قوة السلطان وبقيت العلاقات الإنسانية والشخصية مجردة من الرغبة والرهبة[٣].

إذن فلابد أن يكون التأكيد على الوفاء بها واحترام معناها الأخلاقي هو مدار المقصد الشرعي؛ من أجل ذلك جاءت الأحاديث الكثيرة التي تجعل للجوار

(١) تفسير القرطبي، ج ٥، ص ١٨٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٦٠.
(٣) وفي حالات قليلة حدث أن استجار بعض ولاة بني لهية بالقبائل العربية عندما تثور الفتنة وتضعف قبضة الدولة انظر هامش الصفحة ١٩ من هذا الكتاب.



www.mtenback.com

قداسة العقيدة وتصل به إلى درجات رفيعة من الاحترام، وكادت بعض الآثار أن تجعل لها من الحقوق ما لصلة القربى والرحم. ومنها الأثر المعروف «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1] وهو معنى يشبه ما كان الأجواد من العرب يفعلونه في الجاهلية عندما يجيرون الجار حتى من العوز والفقر والفاقة ما دام نازلا في جوارهم ويضمنون له المال والغنى كما يقول حاتم الطائي[2]:

إِذَا كَانَ لِي شَيْئَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... فَإِنَّ لِجَارِي منهما ما تَخَيَّرَا

ومثله قول مسكين الدرامي[3]:

نَـارِي وَنَارُ الجَارِ واحِدَةٌ ... وَإِليهِ قَبلِي تَنْزِلُ القِدْرُ

أما شبيب بن البرصاء فقد قدم للجار ضماناً من الفقر وتأمينا شاملاً لماله ما دام مجاورًا في قوم شبيب، وما عليه إلا أن يزيد ماله بالتربية والكسب وحسن الرعاية، أما إن خسر المال أو أضاعه أو نزلت به جائحة من نوازل القدر فإن هذا المال مضمون لصاحبه المجاور فيهم، يقول في ذلك[4]:

تَرَى إبلَ الجَارِ الغَرِيبِ كَأَنَّهَا ... بمَكَّةَ بين الأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا
يَكُونُ عَلَينا نَقْصُهَا وضَمَانُهَا ... وللجَارِ إِنْ كَانَتْ تَزِيدُ ازْدِيَادُهَا

وقد حبَّبَ الإسلام الإحسان إلى الجار دون مبالغة، وجاء في الحديث الشريف الحث على الإحسان إلى الجار، وأن ذلك من كمال الإيمان، يقول النبي (ﷺ) فيما رواه أبو هريرة[5]: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». وفي رواية (فليحسن إلى جاره)، وهو معنى لا يخرج عما مضى من عرض

---

(١) كتاب حق الجار، للإمام الذهبي، ص ٢٢.
(٢) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٩٦.
(٣) ديوان مسكين الدارمي، ص ٤٥. وينسب البيت لحاتم الطائي ديوانه ص ٣١٣. والصحيح أنه من شعر مسكين الدارمي.
(٤) طبقات فحول الشعراء، ج ٢ ص ٧٢٧.
(٥) حق الجار للذهبي، ص ١٢.



www.mtenback.com

الصورة الرائعة لعلاقة الجوار في نظر العرب الجاهليين ثم العرب المسلمين وتأصل الخلق الذي ألفوه في الجاهلية. وعندما جاء الإسلام أيد هذا المبدأ ودعا إلى إكرام الجار مع ما يجب من تعديل لابد منه لقيام أسس العلاقة المحمودة، حيث كان الغرض من إكرامه في الجاهلية نشر الذكر الحسن، والتعبير عن قوة المجير. أما في الإسلام فإن في ذلك مضاعفة الحسنات ودخول الجنة والنجاة من النار كما في النص التالي: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[1].

وفي كلا الحالين، فبناء العلاقات الاجتماعية يعد ضرورة لقيام المجتمع الصالح وتكوينه التكوين السليم الآمن ويجعل العلاقات الانسانية غير محددة المسافة، وإنما يضعها في بناء كامل صالح للحياة وقادر عليها.

**ماهية الجوار في الشعر:**

التصور العام للجوار في العقل العربي تصور واسع غير محدود، يعطي مساحة لتمدد الخيال في حق الجار وفي متطلبات ذلك الحق، ويصل التصور في بعض الأبيات إلى الربط بين القدرة المطلقة وحق الجوار الأبدي في مفهوم العلاقة القائمة بين المتجاورين حتى لو كانت العلاقة وهمية أو مجردة كما يرى الأعشى الهمداني في البيت التالي[2]:

أَلَا بَهْلَةُ اللّهِ الّذي عَزَّ جَارُهُ  على النَّاكِثِين الغَادِرين بِمُصْعَبِ

فقد كان الأعشى الهمداني من أنصار مصعب بن الزبير ومن المعجبين به، ولكنه رأى أهل العراق يخذلونه في أحرج المواقف، ويتخلون عنه أمام جيش الشام حتى يقتل وهو يدافع عن كرامته أمام قريش، فلم ير له ناصرًا إلا أن يكون جارًا لله. وهو لا يتصور للجوار غير معنى النصر والانتقام من الغادرين كما وصفهم لعدم وفائهم لحق الحماية وأمانة الرعاية وتخليهم عن مصعب الذي أصبح في رأي الشاعر جارا لله يحميه وينتصر له من الغادرين به، فالعرب

(١) حق الجار للعفيفي، ص ٢٤.
(٢) ديوان الأعشى الهمداني، ص ٨٢.



www.mtenback.com

يجعلون الله جارا لمن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، إما لعدم القدرة على الدفاع، وإما لخفاء المعتدي الذي لا يتحدد مكانه ولا يعين شخصه فلا يستطيع أحد أن ينتقم منه ولا سيما الوشاية التي تأتي بظهر الغيب فيكون الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الجار المنتقم المدافع عن الإنسان في هذا الحال الذي لا يستطيع معه دفاعا. يقول مسكين الدارمي(١):

أَتَتْنِي هِنَاتَ من رِجَالٍ كَأَنَّهَا خَنَافِسُ لَيْلٍ لَيْسَ فيها عَقَارِبُ
أَحَلُّوا على عِرْضِي فَأَحْرَمْتُ عَنْهُمُ وفي اللّهِ جارٌ لا يَنامُ وَطَالِبُ

وقد يكون تصور الجوار مثاليا في الشعر مجردًا من دلالة المعنى المراد فهو صورة العلاقة الأبدية التي لا يود الشاعر أن تأتي لها نهاية وإذا أتت نهايتها ففيها وقع مؤلم حيث لا أمل باللقاء مرة أخرى، ولا أمل بالعودة إلى طبيعة الحياة التي مرت كجوار منقطع بعيد، يقول الراعي النميري(٢):

وَكُنَّا بِعَكَّاشٍ كَجَارَيْ جَنَابَةٍ كَفِيئَيْنِ زَادَا بَعْدَ قُرْبٍ تَنَائِيَا
وَقَدْ قَادَنِي الجِيرَانُ حِينًا وَقُدْتُهُمْ وَفَارَقْتُ حتى ما تَحِنُّ رِكَابِيَا
رَجَاؤُكَ أَنْسانِيْ تَذَكُّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبَيْنَ مَالِيَا

وقد جعل عبيد الله بن قيس الرقيات هناك مشابهة لطيفة ومقارنة مقبولة بين الممدوح وجار الروض العطر الذي يفوح ريحه الطيب، فقال(٣):

أَتَيْنَاكَ نُثْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا يُثْنِى عَلَى الرَّوْضِ جَارُهَا

وفى شعر كثير عزة معنى لتناول الموضوع من بعيد وهو ثقة الجوار فيقول:(٤)

وَأَقْوَلُهُ لِلضَّيفِ أَهْلاً ومَرْحَبًا وَآمَنُهُ جَارًا وَأَوسَعُهُ حَبْلاً

ويقول فى مجال آخر:(٥)

---

(١) ديوان مسكين الدارمي، ص ٢٥.
(٢) ديوان الراعي النميري، ص ٢٩٠.
(٣) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٨٢.
(٤) ديوان كثير عزة، ص ٣٨٤.
(٥) ديوان كثير عزة، ص ٣٣٩.



www.mtenback.com

وَصَاحِب حَقٍّ معْصِمٌ بِكَ حَقُّهُ       وَجَار ابنِ ذى قُرْبَى وَآخـرَ جانِبُ

وقد ربط الشمردل بين كرم الأخلاق ولطف المعشر وحماية الجار وحرمته، فقال :(١)

وَلَم يَكُ يَخْشَى الجَارُ مِنْهُ إِذَا دَنَا       أَذَاهُ وَلَا يَخْشَى الحَرِيمَةَ سَائِلُهُ

أما في شعر هدبة بن الخشرم العذري فتأتي عداوة العدو إذا كان جارا بلاء لا خلاص منه، بل إن كل ما يمكن أن يأتي من مهلكات الحياة ومنغصات العلاقة والتعامل مع كل مكروه أهون عليه من أن يصبح جاره عدوا لا يستطيع الابتعاد عنه ولا يصلح القرب منه، فيبقى يؤرق حياته بالجوار القبيح فيقول في تصوير قسوة عداوة الجار :(٢)

مقَــارَبَــةُ اللَّيْثِ الهَصُــورِ وَغَيْــرِه       من الأُفْعُوَانِ الصِّلِّ حِينَ يُسَاوِرُه
أَحَقُّ وَأَحْــرَى أَنْ تَبِيتَ لَــدَيْهِـمَا       عَلَى الأَمْنِ فِي لَيْلٍ تَخَافُ غَوائِـرُه
من الصَّاحِبِ الفَرْدِ القَرِيبِ مُعَادِيًا       إذا كَانَ فِي جِيرَانِ بَيْتٍ تُجَاوِرُه
وَبُغْيَتُـهُ إِتْـلَافُ رُوحِـكَ جَاهِـدًا       بِكُلِّ سَبِيلٍ مُـرْصِدٌ لَـكَ عَابِـرُه

ولا شك أن هذا التصور للعلاقة العدوانية الملازمة وشدة تلك العداوة على النفس وربط ذلك بصورة الجوار الثابت الذي لا يتغير، تحمل مغزى الاستمرارية في أعمق مأساة عند الشاعر الذي تقع عينه كل يوم على تصرف عدواني بين الحيين، وهو لا يستطيع الابتعاد عنه ولا يستطيع التغلب عليه.

أما أبو الأسود الدؤلي فيجعل الجوار ينتهي عند حد من العلاقات الإنسانية ثم لا يعود مرة أخرى، ويقارن بينه وبين مراحل العمر التي لا يتكرر ما مضى منها فيقول في حسرته على ذهاب الشباب ولوعته عليه، وقناعته بأنه لن يعود أبدا :(٣)

---

(١) البيان والتبيين، جـ٤، ص٨٦.
(٢) شعر هدبة بن الخشرم، ١٠٢.
(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص٨٧.



www.mtenback.com

غَدَا مِنْكَ فى الدُّنْيَا الشَّبَابُ فَأَسْرَعَا　　وَكَـانَ كَجَارٍ بَـانَ يَـومًـا فَـوَدَّعَـا

وهو في هذا لا يعول كثيرا على استمرار الجوار وإنما يكون الجار متنقلا كالشباب الذي لابد أن يتجاوزه الإنسان إلى حياة أخرى ومرحلة قادمة، ولكنه لا ينسى أن حق الجوار حق مؤكد في عادات العرب وأعرافهم فيتوسل إلى أصحابه بهذا الحق ويدلي بهذه الصلة ويجعلها أقوى سبب في جلب المنفعة، فيقول:(١)

بَصُرْتِ بِأَنَّنَا أَصْحَابُ حَقٍّ　　نُـدِلُّ بـه وَإِخْـوَانٌ وَجِيْـرَه

فالحق الذي يطلبه أبو الأسود مركب من ثلاثة عناصر كل منها قمين بالوفاء وحري بصاحبه أن يرعى له هذه العلاقات والحقوق جميعا وأهمها الجوار في رأيه. وله رأي متكرر يأتي فى صورة مسطحة الأبعاد لا تعطي عمقا نفسيا بحقوق الجار ولكنها تأخذ الجانب الظاهر في العلاقة وقد تكون قوة علاقة الجوار في رأيه هدفا لتقويض علاقات أخرى فيصف زوجه بأنها تجد عونا من جاراتها وتقوى عليه بهن حتى عندما تكون غير محقة في طلبها. فتشكو إلى الجارات ما تجد من بخله وسوء عشرته فيقول في ذلك:(٢)

فَتَشْكُـو إِلَى جَارَاتِهَـا وَبَنَاتِهَـا　　إِذَا لَمْ تَجِدْ ذَنْبًا عَلَيَّ تَجَنَّتِ

وقد عرف عن أبي الأسود البخل الشديد وعرف عنه الاقتصاد في النفقة. وهو يعترف بحسن التدبير، وعدم التبذير إلا أنه لا يعترف بأنه بخيل على جاره ولا يود أن يوصف بهذه الصفة ويصر على نفي التهمة عنه فيقول:(٣)

وَإِنَّ امْـرَءًا نُبِّئْتُـهُ من صَـدِيقِنَـا　　يُسَائِلُ: هل أَسْقِي من اللَّبَنِ الجَارَا
وَإِني لأَسْقِي الجَـارَ في قَعْـرِ بَيْتِـهِ　　وَأَشْـرَبُ مَـالا إِثْمَ فِيـهِ وَلَا عَـارَا

وهو شعر ينم عن إحساس الشاعر بأهمية المحافظة على احترام حق الجار

---

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص١٠٧.
(٢) ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص٦٣.
(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي ص١٠٥.



www.mtenback.com

والإحسان إليه حتى وهو في بيته لا يتكلف الخروج إليه ولا زيارته لطلب ما عنده وقد لا يجد بدا من الدفاع عن نفسه معرضا بهوان من يسائل عنه، إذ إنه يشرب مالا إثم فيه ولا عار، بينما يوحي التعريض بما يقدم عليه صديقه من عمل آخر.

أما مسكين الدارمي فقد جعل سلوك الرذيلة لدى بعض عناصر المجتمع مؤشرا على شدة الأخطاء في حق الجار. ويذكر أن أخلاق العبيد والخدم والأراذل هي التي تسيء إلى مكانة الجار ولا يجد بدا من التندر بهذا الخلق الذي يكون الجار ميدانه وبيته مأواه، فيصف الأخلاق المرفوضة لشناعتها بأنها كأخلاق العبيد الذين يجب في رأيه ألا ينالوا خيرا ولا يحسن إليهم لكونهم يسيئون الأدب مع الآخرين وخصوصا الجيران فيقول:[1]

أَوْ غُلاَمُ السُّوءِ إنْ جَوَّعْتَهُ    سَرَقَ الجَارَ وَإنْ يَشْبَعْ فَسَقْ

**علاقة الجوار:**

**تعد حاجة المستجير إلى الحماية وانضواؤه تحت كنف القوة ليأمن البطش ويبعد عن مكامن الخطر في حياته أو ليأمن ما يخشاه على ماله وعرضه دليلا على ضعفه وتنازله عن حقه في الدفاع عن نفسه إلى من استجار به وبهذا يكون جانبا المعادلة في علاقة الجوار:**

**أولاً: المجير الذي يلجأ إليه، وتطلب منه الحماية فيتحمل أعباءها ويتقبل تبعاتها.**

**ثانيًا: المستجير أو المجاور الذي يطلب الحماية ويرغب في الجوار.**

**والعامل لدى طرفي المعادلة هو معنوي بالدرجة الأولى وذاتي بالثانية. فالمجير إذا أعطى جواره لأحد فإنه يكون قد أعلن قدرته على الدفاع عنه متحديا أحدا من عشيرته أو من غير عشيرته أن يخفر ذمته. فاعتداده بقدرته، يعطيه مكانة**

---

(١) ديوان مسكين الدارمي، ص٥٦.



www.mtenback.com

يحترمها الآخرون، تزيد من رصيده المعنوي عند القبيلة التي ينتمي إليها، حيث يكون لحماية الجار خصوصية معنوية كبرى إذ إنها امتحان داخلي لقوة المجير، ومحك يعرف به مدى ما يتمتع به من احترام عند الآخرين أيضا. وهو عندما يعلن الجوار والحماية على غريب ينزل مع القبيلة إنما يعلن التحدي بأن أحدا لن يستطيع المساس بجاره أو يقدم على خدش كرامته وإذلاله، ولو حدث شيء من ذلك فإنما يكون المقصود بالإهانة هو المجير لا المستجير. وسوف نرى مصداق ذلك عندما نعرض نماذج من التحدي التي حدثت في تاريخ العرب من أجل الجوار، وما تحمله المجير من حروب طاحنة وقتال طويل، غيرة على كرامة المجير وحرمته. ومن الشعور بالتحدي الداخلي جاءت المبالغة في حماية الجار، كما جاءت قسوة الانتقام ممن يقدم على إهانته. وقد حفلت كتب الأدب وأيام العرب بذكر قصص الحروب التي كان الجار سبب اشتعالها وقيام الحرب الضروس من أجله ولا يعوزنا الدليل من تاريخنا الأدبي على عدد من الأيام المشهورة التي كان خفر الجوار فتيلها، والدافع لإضرامها.

من ذلك مثلا حرب البسوس وهي من أوائل الحروب التي نشبت بين العرب من أجل الجار وأنفة من ذل خفر الجوار المتعمد، فقد أجار جساس بن مرة البسوس بنت منقذ، فلما لم يرع كليب بن ربيعة حرمة جواره تحديا لشجاعته واعلانا بأنه القوي الذي لا يجار عليه، كان رأس كليب لا يساوي ضرع ناقة البسوس، وذلك لم يكن لولا أن جساسا لم يصبر على خفر الجوار وتجرع الضيم من جرائه، على الرغم من أن كليبا بلغ من الشرف مبلغا عظيما لكن ذلك لم يشفع له. وكان كليب نفسه لا يخفر جواره في العرب وقد أجار وحش الأرض فلا يذعر ولا يصاد وكان يقول مبالغة في الأنفة والتعبير عن القوة، صيد كذا وكذا في جواري، فلا يصاد، وقد فخر بذلك فقال:(١)

يَا لَكِ من قُبَّرَةٍ بِمَعمَري  لا تَرْهَبي خَوْفًا وَلا تَسْتَنْكِري
فَأَنْتِ جَارِي من صُرُوفِ الحَذَرِ  إلى بُلُوغِ يَوْمِكِ المُقَدَّرِ

---

(١) الأغاني، جـ٥، ص٢٩.



www.mtenback.com

ومن الحروب الضارية التي نشبت بسبب تبعة الجوار حرب سمير بين الأوس والخزرج في المدينة، وذلك أن كعبا الثعلبي نزل على مالك بن العجلان الخزرجي بالمدينة وحالفه، وقد قتله سمير بن زيد من بني عمرو بن عوف، فقامت الحرب بين الحيين في قصة طويلة ترويها الأخبار(١). ومثلها حرب حاطب، وهو حاطب بن قيس الأوسي كسح جاره يهودي بالمدينة فقتل اليهودي انتقاما لجواره، وكانت الخزرج قد أجارته فقامت الحرب بين الحيين(٢)

ومن ذلك يوم الرغام إذ كان أنس بن عباس الأصم مجاورا في بني كلاب وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بنى رعل عهد وقد أسر عتيبة بن الحارث من بني ثعلبة أنس بن عباس، وأخذ عليه فداء وهو جار عتيبة نفسه فقال العباس بن مرداس شعرا يهجو فيه عتيبة لأخذه أنسا وبينهما ميثاق(٣). ومن ذلك حديث ابن ضباء كما تسميه الأخبار وهو سعد بن ضباء الأسدي الذي كان جارا لعتيبة بن مالك بن جعفر، وقد قتلت بنو أسد من بني بكر قتيلا، فقالت بنو بكر، علام تدعون ابن ضباء وأنتم تطلبون بني أسد؟ فقتلوه، وبنو جعفر عنه غيب، وكان ذلك سبب الحرب بين الحيين(٤). كما كان جوار امرىء القيس بن حجر سببا في حرب بين بني ثعل وعامر بن جوين الذي أجاره قبل بني ثعل(٥).

وليس الجوار مقصورا على الأنداد والقبائل وزعمائها، بل إن سلطان الملك لا يردع من الانتقام للجار وقد أخفر الحارث بن ظالم المري جوار النعمان ملك الحيرة وقتل خالد بن جعفر بن كلاب العامري وهو في جواره(٦). فثار النعمان غضبا وطلب الحارث في كل مكان حل به. وقد أجار حاجب بن زرارة الحارث بن ظالم فكان يوم رحرحان المشهور. ولم يكن له من سبب غير

(١) الأغاني، جـ٣، ص١٩.
(٢) السيرة، جـ١، ص٢٥٧.
(٣) قصائد جاهلية، ص١٣١.
(٤) ديوان الأعشى، ص٣٥٩.
(٥ ديوان امرىء القيس، ص٢٣.
(٦) الأغاني، جـ١١، ص١١٩.



www.mtenback.com

الجوار[1]. أما عندما لا يستطيع المجير حماية الجار ولا تأمين السلامة له فإنه يعلن ذلك لجاره ويدله على من يؤمن له حمايته حتى لا يفتك بالجار وهو في ذمته ويطلب لجاره المأمن عند من هو قادر على ذلك، فحاجب بن زرارة تخلى عن إجارة الحارث بن ظالم المري بعد ضغط النعمان وبني عامر فغضب المستجير وهجا حاجبا بقصيدة منها الأبيات التالية:[2]

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاوَرْتُ في حَيٍّ وائِلٍ ... ومن وَائِلٍ جَاوَرْتُ في حَيٍّ تَغْلِبِ
فَأَصْبَحْتُ في حَي الأَرَاقِمِ لَمْ يَقُلْ ... لِي النَّاسُ يَا حَارَ بْنَ ظَالِمٍ اذْهَبِ
وَقَـدْ كَـانَ ظَنِّي إذ عَـدَلْتُ إِلَيْكُمُ ... بَنِي عُدُسٍ ظَنِّي بِأَصْحَابِ يَثْرِبِ
غَـدَاةَ أَتَـاهُمْ تُبَّـعُ فـي جُنُـودِهِ ... فَلَمْ يُسْلِمُوا الْمَرْأَيْنِ من حَيٍّ يَحْصُبِ
فَـإِنْ تَـكُ في عَلْيَـا هَـوَازِنَ شَوْكَـةٌ ... تُخَـافُ فَفِيكُم حَـدُّ نَـابٍ وَمِخْلَبِ
وَإِنْ يُسْلِمِ الْمَـرْءُ الزُّرَارِيُ جَـارَهُ ... فَأَعْجِبْ بِهَا مِنْ حَاجِبٍ ثُمَّ أَعْجِبِ

والإشارة هنا إلى وفاء الأوس والخزرج لجارهم وتحملهم حرب تبع من أجله وتعريضًا بضعف حاجب بن زراره عن حمايته وتركه بعد أن أجاره مع تشابه الحالين، فعلى الرغم من أن تبعا ملك قوي يرهب بأسه، وقد حاصر المدينة، إلا أن الأوس والخزرج استطاعت حماية جارها[3] منه، وما النعمان إلا ملك مثله. ، لكن حاجب بن زراره ضعف أمامه، فلم يقدر على مدافعته عن جاره كما فعلت الأوس والخزرج مع تبع. وقد أجار رجل من فزارة امرأ القيس فلما ضعف عن حمايته دله على السموأل. وقصة ذلك مشهورة لا نحتاج إلى تفصيلها في هذا البحث[4].

---

(١) الأغاني، جـ١١، ص١١٩.

(٢) صال الحارث بن ظالم انتقاما لجيرانه على النعمان بن المنذر وخفر جواره وقتل ابنه ثم قتل خالد بن جعفر بن كلاب، وهو فى جوار النعمان، كل ذلك من أجل ألا يضام أحد فى جواره، ثم صنع قصيدة يتهكم بها من النعمان ومنها:

أخصيي حمار بات يكدم نجمة ... أتـاكل جيراني وجارك سالم

انظر المفضليات، ص٣١٣.

(٣) العقد الفريد، جـ٣، ص٣٣٤.

(٤) المحاسن والأضداد، ص٥١.



www.mtenback.com

وينشأ عن الجوار علاقة قوية بين الجارين بقي من مدلولاتها ما سجله الشعراء ولهجت به ألسنتهم وبقي موروثا حيا في خيال العرب حتى عصرنا الحاضر[1]. ولكن تحديد ما يترتب على هذه العلاقة من واجبات وحقوق بقي غير محدد وأصبح فيه شيء من التعميم الواسع والغموض في بعض الأحيان. وإذا أراد الباحث معرفة ماهية علاقة الجوار احتاج إلى الاجتهاد قبل أن يجد ما يطمئن إلى أنه حد فاصل يبين العلاقة بينهما. وأوضح صورة رسمت لنا العلاقة المترتبة على الجوار كانت في وصف الشعراء الذين جعلوا الجوار ظرفا مكانيا تترتب عليه واجبات والتزامات معنوية كما مر في المعنى اللغوي للجوار، فأغلب المعاني التي تأتي تحت هذه المادة تذهب إلى معاني الحماية والنصر والعون والالتزام الثابت بحقوق الجوار.

والحماية لا تتحقق لبعيد الدار النازح عن الحي، إنما تكون لمن هو في كنف المجير غير بعيد عنه حتى يلتزم بالحماية. كما أن قرب المكان أحد أسس العلاقة التي تقوم بينهما. أما ما عدا ذلك فتكون الحماية المطلقة للجار ما دام في الجوار، ولا يوجد نص واضح في تحديد علاقات أخرى غير الحماية من المجير للمستجير وما عدا هذا فيكون الإكرام وحفظ المعرفة الماضية كما جاء في قول عمير بن الأيهم :[2]

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَادَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ

فعلاقة المعية والحضرة هي الظاهرة الأقوى في تثبيت أواصر الجوار، وقد أشار شبيب بن البرصاء إلى المكان وجعله أساس الالتزام بحقوق الجار كما قال :[3]

يَدُلُّ عَلَيْنَا الجَارَ آخَرُ قَبْلَهُ ... وَأَحْلاَمُنَا مَعْرُوفَةٌ وَسِدَادُهَا

---

(١) على الرغم من أن البحث يدور حول حق الجار في الماضي إلا أن الحاضر شاهد أيضا على ما للعرب من اهتمام بحق الجار، انظر ص١٠ من هذا البحث والإحالة على مؤلف حديث عن الجوار في العصر الحاضر.

(٢) اعجاز القرآن، ص٩١.

(٣) طبقات فحول الشعراء، جـ٢، ص٧٢٧.



www.mtenback.com

ولا تخرج نصوص الشعر التي تتحدث عن الجوار ووصف العلاقة الناشئة بين الحيين عن هذا المعنى. ويظهر أن الالتزام بحقوق الجار المهمة وهي الحماية مرهون بعلاقة الجوار المكاني، أما إذا انتقل أو بعد أو عاد إلى دياره، وترك جاره فلا حقوق له إلا ما يبقى من الوفاء العام لكل من عرف الإنسان وعاش معه وحق الإكرام والإشادة الحسنة بالمعروف الذي كان بينهما مثلما يجيء من شعر يحمد قائلوه أخلاق جيرانهم وحسن معاملتهم والدفاع عنهم يوم أن كانوا في جوارهم، يقول الراعي :(١)

إِذَا انْسَلَخَ الشَّهْرُ الحَرَامُ فَوَدِّعِي بِلادَ تَمِيمٍ وَانْصُرِي أَرْضَ عَامِرِ
وَأَثْنِي عَلَى الحَيَّين عمروٍ وَمَالِكٍ ثَنَاءً يُوافِيهم بِنَجْدٍ وَغَائِرِ
كِرَامٌ إِذَا تَلْقَاهُمُ عَنْ جَنَابَةٍ أَعِفَّاءُ عن بَيْتِ الغَرِيبِ المَجَاوِرِ

وقوله أيضا :(٢)

فَإِن لَنَا جَارًا عَلِقْنَا حِبَالَهُ كَغَيْثِ الحَيَا لا يَجْتَوِيهِ المجَاوِرُ

وحتى المرأة الجارة تنال من الثناء مثلما ينال الرجل وقد استحقت جارة الراعي النميري المدح منه والثناء على حسن جوارها فقال فيها مادحا(٩٣) :

وَلَسْتُ بِلاقٍ في قَبَائِلِ قَوْمِهَا لِوَبْرَةَ جَارًا آخِرَ الدَّهْرِ قَالِيَا

يدل ذلك بجلاء على أن الإحسان إلى الجار في وقت الجوار يجعله يثني على الجيران ويحفظ النعمة ويقر برد الجميل إليهم مقابل معروفهم وفضلهم، وكلما كان الجار كريما بقيت العلاقة مستمرة حية بين الجارين لا تنقطع ولو انقطع الجوار كما جاء على لسان عبد بني الحسحاس يمدح جيرانه ويذكر إحسانهم إليه ثم حفظه الإحسان والوفاء به :(٣)

هُمُ أَكْرَمُونِي في الجِوَارِ وَخِلْتُنِي إِذَا كُنْتُ مَوْلَى نِعْمَةٍ لاأُضِيعُهَا

---

(١) ديوان الراعي النميري، ص١٣٤.
(٢) ديوان الراعي النميري، ص١٠٩.
(٣) ديوان الراعي النميري، ص٢٨٢.
(٤) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، ص٥٢.



www.mtenback.com

إن المعروف الذي أسداه المجير بقي في ذاكرة المستجير وزاد شعوره بعظيم المنة التي كانت في عنقه فلهج بها لسانه بعد انقطاع الجوار، فبقيت العلاقة محفوظة مع مضي الوقت وبقي الجار وفيا لجيرانه وإن بعد عنهم فيذكر جميلهم كلما عنت مناسبة للذكر الجميل.

## حقوق الجار:

مر الحديث عن مفهوم الجوار عند العرب في الجاهلية وعلاقة الجار بالمجير وظهر أن أبرز ما كان من علاقة بينهما هو الحماية التي يحتاجها المستجير من جاره ولم يكن من الواضح وجود حقوق أخرى غير الحماية وتأمينه في الحي ما دام مقيما في كنفه، والإكرام وحفظ الجار من أن تناله يد ظالمة، وقد جعل عقيل بن علفة حق الجار كحق النفس وأحد الأركان التي يعتمد عليها المرء ويتصف بها الكريم، فعندما سأله عبد الملك بن مروان عن مبلغ حفاظ بني مرة قال يدفع كل رجل منا عن جاره دفاعه عن نفسه[1] وجعل حميد بن ثور الهلالي الحماية أول الحقوق وفخر بها فقال في وصف قومه:[2]

تَـرَى جَارَهُم آمِنًـا وَسْطَهُم ... يَـرُوحُ بِعَقْدِ وَثِيقِ السَّبَبْ
إذَا مَـا عَقَـدْنَـا لَـه ذِمَّـةً ... شَدَدْنَا العِنَاجَ وَعَقْدَ الكَرَبْ

ومثله ما جاء على لسان العديل إذ يقول:[3]

وَمَازَالَ فِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لِجَارِهِم ... عَلَى عَهْدِ ذي القَرْنَيْنِ مُعْطٍ وَمَانِعُ
أَلَا تَسْـأَلُـونَ ابْنَ المُـشَتِّمِ عَنْهُم ... جَعَـامَـةَ وَالجِيـرَانُ وَافٍ وَظَـالِـعُ

وحق الجار يظهر في الشعر قويا واضحا، إلا أن الغلو والمبالغة ظاهرة فيه أيضًا ويتمدد الخيال في مساحة واسعة منه، وذلك عندما يتحدث الشاعر عن فخره بحماية الجار، فيضفي صفات من المروءة إليه وإلى قومه وتصبح الصورة

---

(١) الأمالي، جـ١ ص٣٧٢.
(٢) ديوان حميد بن ثور الهلالي، ص٤٦.
(٣) العديل ص٢٠.



www.mtenback.com

في ذهنه ذات شقين : شق يتناول بالذكر حق الجار وآخر يعالج مدى حفاظه، أو حفاظ قومه على هذا الحق. فزهير بن أبي سلمى يجمع حقوق الجار النازل في حيّ قومه بالأبيات الآتية مبينا ما يجب له عليهم من الوفاء بالجوار فيقول :[1]

جِـوارٌ شَاهِـدٌ عَـدْلٌ عَلَيكُم ... وَسِيـانَ الكَفَالَـةُ والتَّـلاءُ
بِـأيِّ الجيـرتين أجَـرْتُمُـوهُ ... فَلَمْ يَصْلُحْ لَكُم إلاَّ الأَدَاءُ
وَجَـارٍ سَـارَ مُعْتَمِـدًا إلَيْنَـا ... أجَـاءَتْهُ المَخـافَةُ والـرَّجَـاءُ
فَجَـاوَرَ مُكْرَمًـا حَتَّى إذَا مَا ... دَعاهُ الصَّيْفُ وانْصَرَمَ الشِّتَاءُ
ضَمِنَّـا مَـالَـهُ فغَـدَا سَلِيْمًـا ... عَلَيْنَـا نَقْصُـهُ وَلَـهُ النَّمَـاءُ
فَلَمْ أَرَ مَعْشَرًا أَسَرُوا هَـدِيًّا ... وَلَمْ أَرَ جَـارَ بَيْتٍ يُسْتَبَـاءُ
وَجَارُ البَيْتِ والرجُلُ المُنَادِي ... أَمَـامَ الحَيِّ عَهْدُهُمَـا سَوَاءُ

ويقول حاتم في الموضوع نفسه :[2]

فَجَاوِرْ كَرِيمًا وَاقْتَدِحْ من زِنَادِهِ ... وَأَسْنِـدْ إلَيْهِ إنْ تَـطَاوَلَ سُلَّمَا

ويقول الحطيئة :[3]

بعثْـرَةِ جَارِهِم أَنْ يَنْعَشُـوهَا ... فَيَغْبُـرُ حَـوْلَـهُ نَعَمٌ وشَـاءُ
وَإنَّ الجَارَ مِثْلُ الضَّيْفِ يَغْدُو ... لِـوَجْهَتِـهِ وَإنْ طَـالَ الثَّـوَاءُ
وَإنِّي قَدْ عَلِقْتُ بِحَبْلِ قَوْمٍ ... أَعَانَهُمْ عَلَى الحَسَبِ الثَّرَاءُ
هُمُ المُتَضَمِّنُونَ عَلَى المَنَايَا ... بِمَـالِ الجَارِ ذَلِكُمُ الْـوَفَـاءُ

ويأتي أمية بن أبي الصلت بمعنى جديد في حق الجار يضخمه ويعظمه فيطلب من ابنه أن يعامله معاملة الجار وحسبه ذلك لينال البر والإحسان والشفقة والتفضل عليه حتى في المال، فيقول :[4]

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧٦ - ٨٠.
(٢) ديوان حاتم الطائي، ص٢٣٧.
(٣) ديوان الحطيئة، ص١٠٢.
(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص٣٥٦.



www.mtenback.com

وَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُـوَّتِي فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المُجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنِيْ حَقَّ الجِوَارِ وَلَمْ تَكُنْ عَلَيَّ بِمَالٍ دُونَ مَالِـكَ تَبْخَلُ

ورغبة أمية أن يعامل معاملة الجار تدل على تمكن هذه القيمة من نفـوس العرب، فقد اتخذوه رمزا للوفاء مما يشكل في بعده الإنساني جذرا عميقا يتغلغل في نفوسهم ويتمحور حول نسيج من خيالهم فيصنع شبكة من العلاقات التي تنسج حول الجوار ويتحول صوت القوة للدفاع عنه إلى لحن أسـاسي يعزفـه الشعراء على أوتار الواقع الاجتماعي فيطرب الناس لهذا العزف لأنه يلامس وجدان المروءة في تكوينهم الاجتماعي والوفاء في تقاليد الحياة لديهم فيتحـد صوت الشاعر مع قناعات الجماعة وينطلق التعبير عن حقوق الجار الذي يتفق مع حقوق القبيلة نفسها فيقع ذلك في بؤرة الاهتمام الدائم عند المجير وعند قبيلة المجير أيضًا، وهنا يكون الجوار في أغلب أحواله جماعيـا تضامنيـا وقلما يصبح جوارا فرديا.

**حماية الجـار :**

العلاقة بين الجار والمستجير ليست علاقة تكافؤ ولا مضادة وليست علاقـة مماثلة بل هي علاقة اليد الطولى الحامية واليـد القصيرة المحتـاجة إلى الأمن الطالبة للجوار، وليست هذه الحاجة مما يضعف مكانة الجار أو يقلل من أهميته واحترامه. كما أن الجوار لا يعني بالضرورة أن يكون المستجير أقل شأنا اجتماعيا من المجير نفسه بل قد يكون العكس من ذلك فقد يطلب الحماية أعظم رجل في المجتمع القبلي من رجل دونه في المكانة الاجتماعية وذلك لظروف طارئة في حياة العظيم أو استجابة لواقع اجتماعي يصبح فيه للجوار أهمية خاصة، وقد يتحول القوي من بلده وينفرد عن قومه وينتقل من حية فلا يجـد بدا من أن يستجير بمن يستطيع أن يقدم له عونا، وقد استجار امرؤ القيس بعامة الناس وطلب النعمان بن المنذر من بعض العرب أن يجير له حتى عرض عليه الجوار لص من لصوصهم[1] وخليع من خلعائهم.

---

(١) انظر قصة البراض الكناني، الأغاني جـ٢٢، ص٦٤.



www.mtenback.com

ولكن هذه في حالات خاصة وظروف استثنائية. أما العام الشائع في الجوار فهو أن يكون حماية يضيفها سيد من سادات العرب على ما حل في جواره أو سار معه أو لجأ إليه وتكون الحماية من قبيلة المجير خاصة. وحيث إن الأمن في البيئة العربية غير متهيئة أسبابه ولا قوية أطنابه، لذلك فقد يجد الرجل القوي نفسه في بعض الظروف عاجزا عن توفير الحماية لأهله وماله فضلا عن النهوض بحماية الآخرين. وقد يعز الأمن وتشتد الحاجة إليه. وقد صار حق الجار لهذه الأسباب مقدسا في التقاليد العربية فاستحق كما هائلا من الشعر الذي يصف قائلوه وفاءهم للجار إذا نجحوا في حمايته واستطاعوا قهر العقبات العارضة في بيئتهم القاسية. فيمدحون غيرهم من الأقوياء ويفخرون بأنفسهم وما ذلك إلا لأهمية الجوار في حياتهم وقيمته لنظام المجتمع العربي. ومشقة توفير الحماية بغير العمل بقانون الجوار. فإذا تغلبوا على هذه المشقة عدوا ذلك فوزا يستحق الثناء ويستحق التخليد ويزخر الشعر العربي القديم بالحديث عن حماية الجار وعزته، يقول المتوكل الليثي يمدح بحماية الجار:

يَرَى لِلضيِّفِ والجِيرَانِ حقًّا ... وَيَرْعَى في صَحَابتِه الذِّمَامَا

كَأَنَّ الجَارَ حِينَ يَحِلُّ فِيهِمْ ... عَلَى الشُّمِّ البَوَاذِخِ من شِمَامَا

وتصف الخنساء في شعرها مجد أهلها وحماية أخويها للجار فتأتي بصور من وفاء أخيها ومرؤته عندما لا يجد المستجير من يحميه ولا من يلجأ إليه فتقول في ذلك:[1]

وَلِيبْكِهِ كُلُّ أَخِي كُرْبَةٍ ... ضَاقَتْ عَلَيْهِ سَاحَةُ المُسْتَجَارِ

وتقول أيضا في أخويها:[2]

وَهُم مَنَعُوا جَارَهُم والنِّسَاء ... يَحْفِزُ أَحْشَاءَهَا الخَوْفُ حَفْزَا

وتزيد لوعتها على أخيها فتقول أيضًا[3]

---

(١) شعر المتوكل الليثي، ص ١٢٩.

(٢) ديوان الخنساء، ص ٨٦.

(٣) ديوان الخنساء، ص ٩٦.



www.mtenback.com

وَمَنْ لُمِهِمٍّ حَـلَّ بـالـجَارِ فَـادِحٍ   وَأَمْـرٍ وَهَى مِنْ صَاحِبٍ لَيْسَ يُـرْقَـعُ

ولا تقلع عن مدح أخيها بحماية الجار وأهمية هذه الحماية فتقول:[1]

وَجَارُكَ مَحفُوظٌ مَنِيعٌ بِنَجْوَةٍ   مِنَ الضَّيْمِ لا يُؤْذَى وَلاَ يتذلَّلُ

وتقول أيضا:[2]

يُحامِي عَنِ الحَيِّ يَوْمَ الحِفَا   ظِ والجَـارِ والضَّيْفِ والنُّزَّلِ

ولها أيضا في المعنى نفسه:[3]

وَنعْمَ جَـارُ القَوْمِ فِي أَزْمَـةٍ   إِذَا التَجَا النَّاسُ بِجَارٍ ذَليل

والخنساء في مراثيها لأخويها ومدحهما بحماية الجار ونصرهما له تعكس القيمة الاجتماعية النامية لحقوق الجار في أذهان العرب، وتبين أهمية الالتزام بها وتؤكد ضرورة تجدد القناعة لدى الأجيال التي ترث مكارم آبائها فترعى الحرمات والذمم.

ولا نبعد في البحث عند الشعراء الآخرين حتى نجد حماية الجار مترددة على ألسنة المادحين منهم آخذة في الزيادة في جعل الكريم الممدوح حاميا بارا به ومحافظا على حقه قويا يمنع عنه الظلم والعدوان قادرا على ذلك كما يقول الأعشى في ممدوحه:[4]

جَـارُ ابنِ حَيًّا لِمَنْ نَـالَتْهُ ذِمَّتُـهُ   أَوْفَى وَأَمْنَعُ مِنْ جَارِ ابنِ عَمَّـارِ
بِـالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِن تَيْمَـاء مَنْزِلُـهُ   حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَـدَّارِ

ثم يصل القصيدة حتى يقول في مدح صاحبه:

فَشَـكَّ غَيْرَ قَلِيـلٍ ثُمَّ قَالَ لَـهُ   اذبَحْ هَدِيَّكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

(١) ديوان الخنساء، ص ١١٣.
(٢) ديوان الخنساء، ص ١٢٣.
(٣) ديوان الخنساء، ص ١١٨.
(٤) ديوان الأعشى، ص ٢٢٩.



www.mtenback.com

ويقول في حالٍ آخر:[1]

أَتَعْجَبُ أَنْ أَوْفَيْتَ لِلجَارِ مَرَّةً     فَنَحْنُ لَعَمْرِي اليَومَ مِن ذَاكَ نَعْجَبُ
فَقَبْلَكَ مَا أَوْفَى الرُّفَادُ لِجَارِهِ     فَأَنْجَاهُ مِمَّا كَانَ يَخْشَى وَيَرْهَبُ

ويمدح بالوفاء حتى الآباء فيقول:[2]

فَكَانَ أَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَمْنَعُهُم     جَارًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ انْكَارِ

فحق الجار أصبح مزدهرا في ذهن الأعشى ناميا في عقليته، مستمرا في رسم شكل الحياة التي يجب أن يعيش فيها الجار كريما في كنف رجل كريم. فبنى بأبياته نسقا فيه اتساع مساحات من المروءة التي تبقي العرف الاجتماعي عاملا في حياة الناس مقبولا لديهم يلتزم به من يستطيع أن يحقق لنفسه مجدا خالدا. ولشدة تعلقهم بالجوار جعلوه سببا للنجاة ووصفوا العلاقة الناشئة عنه بأنها حبل منيع وعبروا في شعرهم عن هذا الحبل المتين الذي يحفظ به الجوار وترعى به الحرم يقول زهير بن أبي سلمى:[3]

وَلَسْتَ بِلَاقٍ بِالحِجَازِ مُجَاوِرًا     وَلا سَفَرًا إلا لَهُ مِنْهُمُ حَبْلُ

ويقول في بيت آخر:[4]

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاء كُلَّهم     بِأَيِّ حَبْلِ جِوَارٍ كُنْتُ أَمْتَسِكُ

ويذكر امرؤ القيس الحبل المتين للجار فيقول:[5]

سَأَذْكُرُ حَبْلَيْهِم ضَعِيفًا مُقَصِّرًا     وَحَبْلًا مَتِينًا كَانَ لِلْجَارِ عَاصِمًا

ويعد الحبل أقوى أسباب النجاة في العقل العربي وقد وصفوا كل أمر ذي بال بأنه حبل أو عقد أو رباط أو عهد وذمم. كل هذه المفردات ذات الجرس

(١) ديوان الأعشى، ص٢٥٣.
(٢) ديوان الأعشى، ص٢٥٣.
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٠٨.
(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٧٩.
(٥) ديوان امرىء القيس، ص٤١٦.



www.mtenback.com

الحساس المتفاعل مع وجدانهم، رددها شعراؤهم وتفننوا في تصويرها لحفز الناس إلى التعلق بها لكمال مروءة الرجل فيهم.

وجاء عبيد بن الأبرص يؤكد حماية الجار وقيمتها الاجتماعية وينص على موقف قومه منها فيقول:[1]

نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَنمنعُ جَارَنَا وَنلِفُّ بَيْنَ أَرَامِلِ الأيتَامِ

وأما الأعشى فيحث على الحماية ويدفع إليها في شعره ويضيف رأيه صريحا بحق الجار بالأمن فيقول:[2]

وَكُنْ مِنَ وَرَاءِ الجَارِ حِصْنًا مُمَنَّعًا وَأَوْقِدْ شِهَابًا يَسْفَعُ الوَجْهَ حَامِيَا

وتقول الخنساء في المعنى نفسه الأبيات التالية:[3]

حَامِي الحقِيقَةِ وَالمُجِيرُ إِذَا مَا خِيفَ حَدُّ نوائِب الدَّهْرِ

ولها أيضا:[4]

وَلَقَدْ أَخَذْنَا خَالِدًا فَأَجَارَهُ عَوْفٌ وأَطْلَقَهُ على قَدْرِ

وتعيد مرة أخرى المدح قائلة:[5]

أَعْنِي الَّذِينَ إِلَيْهِمْ كَانَ مَنْزِلُهُ هلْ تَعْرِفُونَ ذِمَامَ الضَّيْفِ وَالَجارِ

ولها:[6]

وَلِلْجَارِ يَوْمًا إِنْ دَعَا لِمَضِيْفَةٍ دَعَا مُسْتَغِيثًا أولاً بِالجَوَايِحِ

ويبكي تأبط شرا الكريم عزيز الجار ويكتفي برثائه بهذا الوصف، فيقول:[7]

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٨١٢٣.
(٢) ديوان الأعشى، ص٣٧٨.
(٣) ديوان الخنساء، ص٦٠.
(٤) ديوان الخنساء، ص٦١.
(٥) ديوان الخنساء، ص٦٣.
(٦) ديوان الخنساء، ص٣٠.
(٧) ديوان تأبط شرا، ص٢٤٨.



www.mtenback.com

بَـزَّنِي الدَّهْـرُ وكَـانَ غَشُـومًـا        بِــأَبِــيٍّ جَــارُهُ مــا يُــذَلُّ

ثم يعود الحديث إلى رأي زهير بن أبي سلمى في حماية الجار وحرصه على تتويج مآثر الممدوحين وتخليدهم في الشعر فيقف يصور أمجادهم، فيقول:(١)

أَوْ صَــالَحُــوا فَلَهُ أَمْنٌ وَمُنْتَقَــذٌ        وَعَقْـدُ جَارٍ وَفَـاءً غَيْرُ مَـدْخُـولِ

وله أيضا:(٢)

المَانِعُ الجَارَ يومَ الرَّوْعِ قَدْ عَلِمُوا        وَذُو الفُضُـولِ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَـدَرِ

وينسب لامرىء القيس مدح بني عوف بوفاء الذمة وحماية الجار، فيقول:(٣)

فَسَـارَ بَنُـو عَـوْفٍ بِجَارِ أَخيهِمُ        مَسِيْرًا بَعِيدًا آبَ لِلْمَجْدِ غَانِمًـا

ويستمر المدح والثناء على هذا الخلق الكريم عند الشعراء، فيقول الحطيئة:(٤)

المُوثِقُونَ لِجَارِ البَيْتِ إنْ عَقَدُوا        وَمِنْهُم سَـابِقُ الجُلَّى وَدَاعِيهَـا

فيما تقدم من أبيات الشعر تنبلج الرؤية العامة لدى الشاعر في بيئة الجزيرة الذي يغالب الحياة ويتعايش مع معطياتها المحدودة من موقع الإيمان بقيمة هذه المعايشة، والتعامل معها بصدق التعبير عنها فتحل مكانة الجار في نفسه محلا لا يحد بطبيعة العلاقة الذاتية بل يصور امتزاج العلاقة بتطلع فوقي في مهمات الأداء الكامل لحقوق الجوار مضمخا بعبير المجد الذي يضفيه الالتزام بالعادات الاجتماعية الراقية. وقد يسقط الشاعر الاستثناء من عموم التأكيد على حق الجار في الحماية. ولم يشر ما بين أيدينا من الشعر إلى استثناء في حال ما، كأن يعجز الشاعر عن حماية جاره فيعتذر عن عجزه أو يبرره بمبررات مقبولة. ومن

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٣٢١.
(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٣١٩.
(٣) ديوان امرىء القيس، ص٤١٦.
(٤) ديوان الحطيئة، ص٢٠٣.



www.mtenback.com

المستحيل ألا يعجز بعض الجيران عن الوفاء بحق الجار، لكن الشاعر يتجاهل العجز والضعف ويأخذ بقوة مفهومه لحق الجار. لأنه يصادر مبدأ الاستسلام للضعف ويتعامل في شعره مع البنية الذهنية المجردة في بعض لحظات الانفعال فيصف عمليات ماثلة في ذهنه مستقلة عن مساومة الواقع الاجتماعي عليها متميزة عن الخضوع لطبيعة الحياة التي يقع فيها الحالان، القدرة والعجز.

وما دام الشاعر يتعامل مع مفهوم اجتماعي يوظفه للمدح أو للهجاء، فإنه يتعامل في شعره مع ذاته ويقوم بتحليل عفوي لشعوره، ويذكر ما يجب أن يفعل الكريم ذو المروءة ويستنير في قياس الوفاء على نقاط الاشراق في العادة الاجتماعية المقدسة التي تنتظم فيها قناعات الناس كافة بأهمية الجوار والحفاظ عليه.

### الفخر بحماية الجار:

يزخر الشعر العربي بكم هائل من الأبيات التي تتحدث عن الذات والفخر بما يحققه الفرد أو القبيلة من فضائل، وقد يبالغ المادحون حتى يصل الأمر ببعضهم إلى الشطط المرفوض اجتماعيا. ولأن حق الجار في رأي الشعراء العرب يجب أن يحمى بالقوة وأن يكون مدعاة للفخر والاعتماد على ترديده في كل مناسبة، وبلا مناسبة في بعض الظروف والأحوال، فإن الحديث عن حمايته وعن إكرامه وعما يتطلب الفخر به ومنه حديث مذكور مشهور لا يمكن تجاوزه دون الوقوف عنده ولفت النظر إلى مدلوله ودراسته ثم محاولة تتبع معناه الاجتماعي لدى المتعاملين به فخرا، والمؤمنين بمكانته، والحريصين على الدفاع عنه. ولا يقبل العربي المجير أن يمس جاره بأدنى أذى، فإذا فعل ذلك وحمى جاره فإنه سرعان ما يتحدث عن هذا الخلق، وعن هذه الشجاعة في نفسه وقومه الذين جعلوا جارهم عزيزا قويا لا يهان. والقبيلة كلها في صف واحد مع المجير لا تخذله ولا تتخلى عنه إذا دعاها لحماية الجار كما يقول حميد بن ثور الهلالي: (١)

---

(١) ديوان حميد بن ثور الهلالي، ص٤٦.



www.mtenback.com

مَتَى أَدْعُ قَـوْمِي يُجِبْ دَعْـوَتِي فَـوَارِسُ هَيْجَا كِـرَامُ النَّسَبْ
تَـرَى جَـارَهُم آمِنـا وَسْـطَهُم يَـرُوحُ بِعَقْـدٍ وَثِيق السَّـبَبْ
إِذَا مَـا عَـقَـدْنَـا لَـهُ ذِمَّـةً شَدَدْنَا العِنَـاجَ وعَقْدَ الكَرَبْ

لم يجد حميد أقرب إلى أذهان الناس الذين يفخر بقومه أمامهم من ذكر عزة جار هؤلاء القوم، فهو آمن وسطهم وهم عندما يعطونه عقد الجوار فإنهم قادرون على الوفاء بقوة وحزم وهو بالتالي لا يذكر قومه من أجل حماية الجار بل يذكر الجار مدللا على عزة قومه وعلى شجاعتهم، ولكي يؤكد العزة والشجاعة لهم يذكر أن جارهم عزيز آمن وسط بيوتهم لا يخاف الضيم ولا يخشى البطش. إذن يكون المجيرون هم سبب هذا الأمن. والشعر هنا دليل على قوة المجير وعشيرته التي يفخر بها.

أما المعاملة الحسنة والتلطف بالجار فهي إحدى دعائم الفخر بالنفس وهو ما يحرص الشعراء على تحقيقه أمام الناس. ويصبح الجار في منأى عن الاساءة مهما صغر أمرها حتى الحديث الجارح لا يقبل توجيهه للجار ولا يمكن الرضا عنه أو السكوت عليه، كما يصف هذا الحال هدبة بن الخشرم إذ يقول:(١)

يَبِيتُ عَنِ الجِيـرَانِ مَعْـزِبَ جَهْـلِهِ مُـرِيحَ حَـوَاشِي الحِلْمِ لِلْخَيْـرِ وَاصِفُ

ويقول في المعنى نفسه:(٢)

وَلَانَخْذُلُ المَوْلَى وَلَانَـرْفَعُ العَصَـا عَلَيْـهِ وَلَانُزْجِي إِلَى الجَـارِ عَقْـرَبَـا

ثم يكرر الامتناع التام عما يؤذي شعور جاره الغريب مؤكدا بأن نفسه لا تراوده بغدر ولا خيانة وأن من شيمته أن يرعى حق الجوار على أي حال يكون عليه المستجير، فيقول:(٣)

---

(١) شعر هدبة بن الخشرم، ص١٢٤.
(٢) شعر هدبة بن الخشرم، ص٦٧.
(٣) شعر هدبة بن الخشرم، ص٦٥.



www.mtenback.com

وَإنّي لَا يَخافُ الغَـدْرَ جَـارِي   وَلاَ يَخْشَى غَـوَائِلي الـغَـرِيبُ

ومثل ذلك يأتي عند الأحوص الذي يحنو على جاره ويأخذه باللين والرفق حين يقول :(١)

ذَاك وَإنِّي عَلى جَارِي لَذُو حَدَبٍ   أَحْنُوا عَلَيْهِ بِمَا يُحْنَى عَلَى الجَارِ

أما اللغة الثائرة القوية والصوت الصاخب في الشعر فيأتيان عندما يتحدث الشاعر عن حماية الجار، وعن العزة والكرامة التي يوفرها العربي لجاره وإن كلف ذلك ذهاب نفسه أو ماله أو ولده. وقد عرضنا في مقدمة البحث بعض صور التفاني فى هذا المعنى ونريد أن نستعرض هنا أبياتا أخرى تؤكد روح العصبية للجار والحرب من أجله وحمايته، يقول القتال الكلابي :(٢)

لاَ أَرْضَعُ الدَّهْـرَ إلا ثَدْيَ وَاضِحَـةٍ   لِوَاضِحِ الخَدِّ يَحْمِي حَوْزَةَ الجَـارِ

أما عبيد الله بن قيس الرقيات فيقول :(٣)

وَذَبَّ عَنِ الجَـارِ المُلَبَّسُ حَبْلَهُ   بِحَبْلَيْهِمَـا وَبِالحَلِيفِ المُقَـاسِمِ
وَإنْ حَارَبَ المَوْلَى فَحَارِبْ بِحَرْبِهِ   وَإنْ سَالَمَ المَوْلَى عَلَيْكَ فَسَالِمِ

في حين يجعل مسكين الدارمي شبابه شاهدا على ما يبذل من التضحية التي يراها واجبا لا يتخلى عنه فيقول :(٤)

وَاسْأَلْ شَبَابِيَ هَـلْ أَهَنْـ   ـتُ مِسَاكَهُ أَوْ ذلَّ جَـارُه
أَمْ هَــلْ وَقَفْتُ بِمَـوْقِفٍ   أَوْ مَشْهَـدٍ يُخْزِيـه عَـارُه
أَمْ هَــلْ كَسِبْتُ الـمَـالَ   إلاّ عَـادَ لِي وَلَـهُ خِيَـارُه
أَعْـطَيْتُه دِرْعِي وَبَيْضَتَهَـا   وَمَـصْـقُـولاً شِـفَـارُه

---

(١) ديوان الأحوص، ص١٣٣.
(٢) ديوان القتال الكلابي، ص ٥٥.
(٣) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، ص ١٤٦.
(٤) ديوان مسكين الدرامي، ص ٣٧.



www.mtenback.com

وَالقَيْنَــةَ الحَسْنَــاءَ مِثْــلُ ... الــرِّيم مِنْ ذَهَب سِــوَارُهْ
وَحَـمَـلْتُــهُ يَــوْمَ الـلّقَــاءِ ... عَـلَى جَــوادٍ مَــا يُـعَــارُه

ثم لا يكون ذكر ما يفعل الجواد لجاره هو المطاف الأخير له ولا يكتفي بذلك عندما يفاخر ويذكر مكارم الأخلاق التي يتحلى بها ويود أن ينشر ذكرها في الناس ولكنه يلتفت إلى الجيران يطلب منهم الشهادة بما يقدم لهم من صور الوفاء والحفاظ على علائق الجوار وفي ذلك يقول الراعي النميري:[1]

وَتَلْقَى جَـارَنَـا يُثْنِي عَلَيْنَــا ... إذَا مَـا حَـانَ يَـوْمٌ أَنْ يَبِينَـا

أما معاوية بن مالك فيقول:[2]

بَــلْ لَا نَقُــولُ إِذَا تَبَــوَّأَ جِيْــرَةٌ ... إِنَّ المَحِلَّــةَ شَعْبُهَــا مَكْــدُودُ
إِذْ بَعْضُهُم يَحْمِي مُـرَاصِدَ بَيْتِـهِ ... عَـن جَــارِهِ وَسَبِيلُنَــا مَــوْرُودُ

ومثل هذا يأتي عند شعراء آخرين مثل عمر بن لجأ التيمي إذ يقول:[3]

وَمِنَّـا الَّذِيْ نَجىَّ بِـدِجْلَة جَارَهُ ... حِفَاظًا وَنَجَّتْـهُ القُرُومُ الفَـوَارِسُ

ويقول سراقة البارقي:[3]

وَالمَـانِعِينَ مِن الظُّلَامَةِ جَارَهُم ... حتى يَبِيـنَ كَسَيِّـدٍ لم يُـتْبَـلِ
وَتَــرَى غَنِيَّـهُمُ عَــزِيـزًا رِفْـدُهُ ... وَفَقِيرَهُم مِثْـلَ الغَنِي المُفْضِـلِ

ولا يغفل العربي نصيبه ونصيب قومه من هذا الشرف فيدعي أن له ولقومه حظهم من إكرام الجار فيقول المتوكل الليثي:[4]

يــا رِيطُ يَــا رِيطُ أَلَمْ تُخْبَــرِي ... عَنَّــا وقــد يحْمَـدُنَــا السَّــائِلُ
والجَــارُ وَالمُـخْتَبطُ المُعْتَـفِي ... مَـعْــرُوفَنَــا وَالآخَــرُ الـنَّــازِلُ

---

(١) ديوان الراعي النميري، ص ٢٧٤.
(٢) المفضليات، ص ٣٥٦.
(٣) شعر عمر بن لجأ التيمي، ص ١١٤.
(٤) ديوان سراقة البارقي، ص ٨٦٢.
(٥) شعر المتوكل الليثي، ص ٢٤١.



www.mtenback.com

كما يكون التسامح والعفو خصلة يحرص أن يتحلى بها العربي ويفخر أمام الناس بأنه متسامح مع جاره في حق نفسه حتى لو كان الجار مبطلا :(١)

أَقُولُ لِجَارِي إِذْ أَتَانِي مُعَاتِبًا ... مُدِلًّا بِحَقٍ أَوْ مُدِلًّا بِبَاطِلِ
إِذَا لَمْ يَصِلْ خَيْرِي وأَنْتَ مُجَاوِرِي ... إِلَيْكَ فَمَا شَرِي إِلَيْكَ بِوَاصِلِ

ويقول عنترة :(٢)

وَإِنِّي عَزِيزُ الجَارِ فِي كُلِ مَوْطِنٍ ... وَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ يَهُونَ مُقَامِي

ويقول أيضا :(٣)

ولا أُعَوِّدُ مُهْرِي أَنْ أُوَقِّفَهُ ... وَسْطَ الكُمَاةِ ولا يَشْقَى بِهِ الجَارُ

فالشاعر يربط بين عزة جاره وكرم نفسه في البيت الأول بينما ينحو منحى التفصيل فى بيته الثاني فهو شجاع لا يقف حصانه يوم الحرب وسط المعمعة ولا يصل جاره خوف ولا يمت إليه شقاء لأنه يحميه ويذود عنه ويجعل نفسه وفرسه دون جاره، وأكثر فخرا من هذا عند الشعراء العرب قول زهير يفخر بنفسه وحمايته للجار(٤).

وَكَفِّي عَنْ أَذَى الجِيرَانِ نَفْسِي ... وَإِعْلَانِي لِمَنْ يَبْغِي عَلَانِي

ويدعي عمرو بن شأس الأسدي الفناء في حماية جاره، ويفخر بذلك فخرا يرفعه إلى أن يغلق بحق الجار ويهلك في سبيله ويأخذ بوصف خلقه الكريم الذي يكون الجوار دافعا إليه باعثا إلى التحدي الكامل حوله مأخذا بعيدًا متعارضا مع طبيعة النفس البشرية وحبها في السلامة والأمن، فيقول :(٥)

---

(١) بهجة المجالس، جـ ١، ص ٢٩٠.
(٢) ديوان عنترة، ص ١٦٥.
(٣) ديوان عنترة، ص ١٩٧.
(٤) ديوان زهير بن سلمى، ص ٣٤٩.
(٥) ديوان عمرو بن شأس الأسدي، ص ٩٦.



www.mtenback.com

وَأَغْلَقُ[1]مِن دُونِ امْرِئٍ قدْ أجَـرْتُهُ		فَـلاَ تُبْتَغى عَـوْرَاتُـهُ غَلَقَ القُفْـلِ

أما عدي بن الرقاع فيجمع صور توقير الجار فيمدح من لا يسوء جاره بخلقه ويصف خيلاءه ويزعم أن نفسه دون جاره في كل حال وأنه مقدم على كل شيء في سبيل جاره حتى يبعده عن المكروه فلا يصيبه، فيقول في بيتين منسوبين إليه :[2]

لِلجَـارِ والضَّيْفِ وَبَاغِي النَّدَى		حِينَ يُبَـارِي خُلُقِي أَخْيُلِيُ

وفي البيت الثاني يأتي قوله :[3]

وجَـارٍ قَـدْ أُوَاسِيْـهِ بِنَفْسِي		وَوُسْعِي أَنْ يَـبِيْـنَ عَـنِ الـلِّزَاقِ

ويجعل أبو جندب الهذلي ندي قومه هذيل وعليا شاهدا على ما يفعل في سبيل حماية الجار عندما يسل السيف يدافع عن جاره إذا رآه أمام عدوان المعتدين، فيقول :[4]

سلوا هُـذَيْـلاً وَسَلُوا عَـلِيًّـا		أَمَا أُسُلُّ الصَّارِمَ البصْـرِيَّا
حَتَّى أَمُـوتَ مَـاجِـدًا وَفِيًّـا		إِذَا رَأَيْتُ جَـارَنَـا مَغْـشِيًّـا

ويقول أيضا :[5]

لَقَـدْ عَلِمَتْ هُـذَيْـلٌ أَنَّ جَـارِي		لَـدَى أَطْـرَافِ غَيْنَـا مِنْ ثَبِـيْرِ
أُحُصُّ فَـلاَ أُجِـيْرُ وَمَنْ أُجِـرْهُ		فَـلَيْسَ كَمَـنْ تَـدَلَّى بِـالغُـرُورِ
لَكُمْ جِيْـرَانُكُم وَمَنَعْتُ جَـارِي		سَـوَاءٌ لَـيْسَ بِـالقَسَـمِ الأَثِـيْرِ

إن أبا جندب غير حريص على الجوار ولا يتورط فيه بل يحاول الابتعاد عن حمل أعبائه الثقيلة ويعد ذلك مشقة لا يود الخضوع لسلطانها خوفا ألا يفيء بحقها. لكنه عندما يتأكد من قدرته على الحماية فإنه يجير ويحمي جاره من

---

(١) أغلق : أهلك في سبيل حماية الجار.
(٢) قصائد جاهلية نادرة، ص ٥٧.
(٣) قصائد جاهلية نادرة، ص ٦١.
(٤) ديوان الهذليين، جـ ٣، ص ٨٧.
(٥) ديوان الهذلين، جـ ٣، ص ٩١.



www.mtenback.com

كل ذل أو مكروه. فيؤكد مرة أخرى وضع جاره ساخرا بمن يطمع به أو يمني نفسه الوصول إليه بما لا يحب فيقول:[1]

وَلَا تَحْسَبَنْ جَارِي إِلَىٰ ظِلِّ مَرْخَةٍ ... وَلَا تَحْسَبَنْـهُ فَقْـعَ قَـاعٍ بِقَـرْقَـرِ
وَكُنْتُ إِذَا جَـارِي دَعَـا لِمَضُـوْفَـةٍ ... أُشَمِّـرُ حَتى يَنْصِفَ السَّاقَ مِئْزَرِي
وَلَكِنَّنِي جَمْـرُ الغَضَـا مِنْ وَرَائِـهِ ... يُـحَفِّـزُنِي سَيْـفِي إِذَا لَـمْ أُحَـفَّـزِ

ويجمع عنترة العبسى لنفسه خصالا كثيرة في محافظته على الجار فيفخر الفخر كله في قصائد عديدة من شعره منها الأبيات التالية:[2]

وإِنِّي لَأَحْمِي الجَارَ مِنْ كُلِّ ذِلَّةٍ ... وَأَفْرَحُ بِالضَّيْفِ المُقِيْمِ وَأَبْهَجُ

ويقول أيضًا:[3]

هَـدِيُكُم خَيْـرٌ أَبًـا من أَبِيكُمْ ... أَعَفُّ وَأَوْفَى بِـالجِـوَارِ وأَحْمَـدُ

ويصور فقده على جيرانه وما يلاقون بعد موته من الهوان والذل، فيقول:[4]

فَـوَاذلَّ جِيـرَانِي إِذَا غِـبْتُ عَـنهُـم ... وَطَالَ المَدى مَاذَا يُلاقُونَ مِنْ بَعْدِي

ويقول أيضا في نفسه فاخرا:[5]

أَلَا فَلْيَعِشْ جَـارِي عَـزِيـزًا وَيَنْثَنِي ... عَـدُوِّي ذَلِـيـلًا نَـادِمًـا يَـتَـحَـسَّـرُ

ولم يفخر أبو حنبل بحماية جاره فقط بل زعم أنه جار لمن خاف من غدر جاره وأنه لكل خائف ملاذ حتى من المجير عندما لا يفيء بالجوار فقال:[6]

لَقَدْ بَلانِي عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ ... عِنْـدَ اخْتِلافِ زِجَاجِ القَوْمِ سَيَّارُ

---

(١) ديوان الهذليين، جـ ٣، ص ٩٢.
(٢) ديوان عنترة، ص ٣٧.
(٣) ديوان عنترة، ص ٤٧.
(٤) ديوان عنترة، ص ٦٢.
(٥) ديوان عنترة، ص ٨٢.
(٦) الحماسة، جـ ١، ص ٢٩٨.



www.mtenback.com

حَتَّى وَفَيْتُ بِهَا دُهْمًا مُعَقَّلَةً  كَالقَارِ أَرْدَفُهُ من خلْفِهِ قَارُ
قَدْ كَانَ سَيْرٌ فخُلُّوا عَنْ حُمولَتِكُم  إني لِكُلِ امْرِئٍ من جَارِهِ جارُ

ويضاف إلى نماذج الفخر بحماية الجار أبيات السموءل المشهورة التي يقول فيها:[1]

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا  عَزِيزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ من نُجِيرُهُ  مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرفَ وَهْوَ كَلِيلُ

ويقول أيضًا:[2]

فَأَحْمِي الجَارَ في الجُلَّى فَيُمْسِي  عَزِيزًا لا يُرَامُ إِذَا حَمَيْتُ

أما أسد بن كرز فيبلغ الغاية في فخره بحماية جاره، ويزعم أنه لا أحد يستطيع أن يصنع ما صنع من الوفاء للجار ثم يستهزىء بمن تحدثه نفسه بإذلال جاره. وذلك أن قوما من سحمة عرضوا لجار له فأطردوا إبل الجار فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة وتتبعهم حتى عاذوا به واستجاروا بنفسه منه فقال قصيدة طويلة منها هذه الأبيات:[3]

فَمَا جَارُ بَيْتِي بِالذَّلِيلِ فَتَرْتَجِي  ظُلاَمَتَهُ يَوْمًا وَلاَ المُتَهَضَّمِ
فَمَنْ جَارُ مَوْلًى يَدْفَعُ الضَّيْمَ جَارَهُ  إِذَا ضَاعَ جَارِي يَا أُمَيْمَةُ أَوْ دَمِي
وَكَيْفَ يَخَافُ الضَّيْمَ مَنْ كَانَ جَارَهُ  مَعَ الشَّمْسِ مَا إِنْ يُسْتَطَاعُ بِسُلَّمِ

ويفخر طرفة بن العبد فيقول:[4]

لَنَا هَضْبَةٌ لا يَدْخُلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا  وَيَأْوِي إِلَيْهَا المُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا

والشعر الذي مر في وصف عزة الجار، والدفاع عنه والإشارة إلى المحافظة

---

(١) شعر السموءل، ص ١١.
(٢) شعر السموءل، ص ١٨.
(٣) الأغاني، جـ ٢٢، ص ٨.
(٤) ديوان طرفة، ص ١٩٤.



www.mtenback.com

عليه يؤكد أن العرب تجعل الحفاظ على كرامة الجار مقياسا لقوة القبيلة أو الحي. وفي الوقت نفسه لابد أن يكون هناك الضعفاء الذين لا يقوون على حمايته، ولا ينهضون بواجبه وإلا لما أصبح للفخر معنى فيما يقولون وفيما يذهبون إليه.

## إكرام الجار:

مضى الكلام عن حماية الجار وعزته وما يتمتع به من مكانة رفيعة تقيه العدوان، وتبعد عنه الخوف وتجعله آمنا بكنف القوم الذين استجار بهم من بطش القوة. والحماية هي الأساس فى طلب الجوار واللجوء إلى القوي ليمنع عن الجار ما يصيبه من تجاوز سور الأمن حول حياته وإذا تحقق الأمن بفضل شجاعة المجير وحميته فإن الحديث عن مناخ ملائم للحياة الآمنة المطمئنة يكون مناسبا من المجير نفسه ومن المستجير أيضا. وإكرام الجار الرديف المقبول لحمايته فإذا تمت الحماية بفضل الحامى المذبب عن الحرام والمدافع عن الحوزة يصبح للحديث عن الإكرام مكان بارز في لغة الشعر لأنه سيضفي خصلة أخرى من خصال الحمد وهي الكرم بعد أن تأكد من تحقق الخصلة الأولى وهي القدرة والشجاعة وحتى يكون الفخر مكتملا من كلا طرفيه، عندما يحتاج الشاعر إلى أن يفخر بشيء آخر ويصيب محمدة لنفسه غير الشجاعة، فإن الكرم هو المطلوب حيث يأتي الجار في هذا الحال مسعفا للشاعر فيعرض في شعره نموذجا جديدا يحقق المغزى الذي يريد عرضه، فيزعم أنه كريم جواد معطاء، لا يبخل بشيء، ويظهر ضربا من التضحية في المال وهو صنو النفس ويزعم أنه يهينه في سبيل إكرام جاره كما هانت عليه حياته في سبيل حمايته بذلك، يقول حاتم الطائي:(١)

إِذَا كَانَ لِي شَيْئَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ     فَإِنَّ لِجَارِي مِنْهُمَا مَا تَخَيَّرَا
وَفِي واحدٍ إنْ لَمْ يَكُنْ غيرَ واحِدٍ     أَرَاهُ لَهُ أهلاً إذا كَانَ مُقْتِرَا

وهذا مبلغ الأثرة، إذا كان له شيئان فإن القسمة بالسوية بينه وبين الجار هي

(١) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٩٦.



www.mtenback.com

دأبه وهو فى رأيه حق للجار لا يحتاج إلى طلب. وعلى الجار أن يختار الأفضل لأنه الأولى بذلك. أما إن كان الشيء واحدا غير قابل للقسمة فهو نصيب الجار الذي يجب أن يحظى به دون صاحبه، ولا شرط لذلك إلا أن يكون جارا مقترا محتاجا إليه.

وقد مر بيت مسكين الدارمي الذي يعلن فيه المشاركة التامة للجار حتى في قوت اليوم وطعام البيت وإنه لا يرى أن يكون هناك خصوصية له دون جاره فهما سواء فيما هو من حقه إذ يقول: (١)

نَـارِي وَنَـارُ الجَـارِ وَاحِـدَةٌ ... وَإِلَيْـهِ قَبْلِي تَنْـزِلُ القِـدْرُ

وهو تفضيل لا مثيل له إذ يزعم أن الطعام يذهب إلى جاره قبله والقدر ينزل إلى الجار قبل صاحب القدر ولا أظن أحدا يشك في مبالغة الشاعر في هذا الكلام إلا أنها مبالغة محمودة في نظر العرب الذين يجعلون حق الجار فوق القرابة وأولى من حق النفس لا في الطعام وحده، بل في غيره مما يلامس مبدأ الأثرة عندهم الذي تود النفس البشرية أن توصف به ويبقى في ميزانها الخالد.

وتبلغ مشاركة الجار في زاد البيت وكفاف العيش ذروتها في شعر عروة بن الورد حين يحرم عليه الطعام أو الشراب إلا أن يكون فى بيت جاره مثله وإذا لم يكن لجاره مثل ما عنده فإنه يشركه بما عنده ويعيش معه ويقتسمان ما يملك لا زيادة ولا فضل عليه، فيقول: (٢)

فَـإِنَّ حَمِيْتَنَـا أَبَـدًا حَـرَامٌ ... وَلَيْسَ لِجَـارِ مَنْزِلَنَـا حَمِيْتُ

ويقول أيضًا: (٣)

قَدَحَانِ قَدْحُ عِيَالِ الحَي إِذْ شَبِعُوا ... وَآخَـر لِـذَوِي الجِيـرَانِ مَمْنُـوحُ

ويردفهما بثالث، فيقول: (٤)

(١) ديوان مسكين الدارمي، ص ٤٥.
(٢) ديوان عروة بن الورد، ص ١٨.
(٣) ديوان عروة بن الورد، ص ٢٥. الحميت: وعاء السمن أو اللبن.
(٤) ديوان عروة بن الورد، ص ٢٧.



www.mtenback.com

فَـإِذَا غَنِيْتُ فَـإِنَّ جَـارِيَ نَيْلُهُ      مِنْ نَـائِلِي وَمَيْسَـرِي مَعْهُــودُ

ويحفظ المثقب العبدي حق الجار ويكرمه ويرعى العرف الاجتماعي ويفخر بما يصنع، فيقول:(١)

أَكْـرِمُ الجَـارَ وَأَرْعَى حَقَّـهُ      إِنَّ عِـرْفَـانَ الفَتَى الحَقَّ كَـرَمْ

ولا يبعد رأي سلامة بن جندل عن ما لدى الشاعر المثقب العبدي ويزعم أنهم مصدر سعادة للجار وللضيف معا فيقول:(٢)

قَدْ يَسْعَدُ الجَـارُ والضَّيْفُ الغَرِيبُ بِنَـا      والسَّـائِلُونَ وَنُغْـلِي مَيْسَـرَ النِّيبِ

ويخلط العرب جيرانهم بأنفسهم حتى ينسى الجار أنه غريب أو نازح دار لشدة إكرامهم إياه واحتفائهم به ورعايتهم له، جاء هذا المعنى بقول يزيد بن حمَّان السكوني من بني شيبان يمدح قومه ويذكر مكانة الجار فيهم:(٣)

وَمَنْ تَكَـرُّمِهِمْ فِي المَحْلِ أَنَّهُـمُ      لَا يَعْلَمُ الجَارُ فِيهِمْ أَنَّـهُ الـجَـارُ

حَتَّى يكُـونَ عَـزِيْـزًا مِن نُفُـوسِهِمُ      أَوْ أَنْ يَبِيْنَ جَمِيعًـا وَهْـوَ مُـخْتَـارُ

كَـأَنَّـهُ صَـدَعٌ فِى رَأسِ شَـاهِقَـةٍ      مَن دُونـه لِعتَـاقِ الـطَّيْـرِ أَوْكَـارُ

ويثني الأعشى على وجود الكريم عندما يخص بجوده الجار فينال جاره العطايا العظيمة وليس غير صفايا الإبل عطاء عند العرب وهي أكرم المال عندهم ولهذا يقول في مدح ممدوحه:(٤)

هُـوَ الوَاهِبُ الكُـومَ الصَّفَايَـا لِجَارِهِ      يُشَبَّهْنَ دَومـاً أَوْ نخيـلًا مُـكَمَّـمَـا

ويقول في موضع آخر في المعنى نفسه:(٥)

---

(١) شعر المثقب العبدي، ص ٤٦.

(٢) ديوان سلامة بن جندل، ص ٢٢٧.

(٣) حماسة أبي تمام، جـ ١، ص ٣٠٠.

(٤) ديوان الأعشى، ص ٣٤٧.

(٥) ديوان الأعشى، ص ٢٧٥.



www.mtenback.com

طَوِيلُ اليَدَيْنِ رَهْطُهُ غَيْرُ ثِنْيَةٍ[1]      أَشَمُّ كَرِيمٌ جَارُهُ لاَ يُرَهَّقُ

وتبقى علاقة الجوار تتلاحم مكوناتها بين الطرفين وكلاهما يؤكد حرص العربي على استمرار هذه العلاقة التي تتناسب طرديا مع زمن الجوار نفسه فكلما طال زمنه قويت أواصر المحبة بين الجارين وتحولت العلاقة إلى قربى.

يقول لبيد بن ربيعة العامري في ممدوحيه:[2]

فَلاَ وَأَبِيكِ مَاحَيٌّ كَحَيٍّ      لِجَارٍ حَلَّ فِيهِمْ أَوْ عَدِيمُ

ويعود الحديث إلى الأعشى وشعره فنجده يقول:[3]

وَجَارُكَ لا يُتَمَنَّى عَلَيْهِ      إِلاَّ الَّتِي هُوَ يَقْتَالُهَا

ونأخذ بعرض الشعر الذي يتحدث عن المعاملة واللطف مع الجيران ومحاولة خلطهم بالأنفس حتى لا يشعر أحد منهم أنه غريب أو نازح عن أهله الذين يحفظون حقه وكرامته ونجد أبا خراش الهذلي يقول في ذلك:[4]

بِفَقْدِ امْرِئٍ لا يَجْتَوِي الجَارُ قُرْبَهُ      وَلَمْ يَكُ يُشْكَى بِالقَطِيعَةِ والظُّلْمِ
يَعُودُ على ذي الجَهْلِ بالحِلْمِ وَالنُّهَى      وَلَمْ يَكُ فَحَّاشًا على الجَارِ ذا عُدْمِ

ويصف الأفوه الأودي الجار الكريم فيقول:[5]

يَقُونَ في الحَجْرَةِ[6] جِيرانَهُمُ      بِالمَالِ والأَنْفُسِ من كُلِّ بُؤْس

ولطرفة بن العبد الوصف الذي يرسم فيه أخلاق العرب ونظرتهم إلى الجار فيقول:[7]

---

(١) الثنية: أرذل القوم.
(٢) ديوان لبيد، ص ١٠٣.
(٣) ديوان الأعشى، ص ٢١٥.
(٤) ديوان الهذليين، جـ ٢، ص ١٥٢.
(٥) الطرائف الأدبية، ص ١٧.
(٦) الحجرة: ما تكون فى حيزة الرجل فيحميه.
(٧) ديوان طرفة، ص ٦٨.



www.mtenback.com

فضَلٌ أحْلاَمُهُم عَنْ جَارِهِمْ          رُحُبُ الأذْرُعِ بالخَيْرِ أُمُرْ

ويقول أيضًا :[1]

خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عَلِمُوا          لِكَفِيْءٍ وَلِجَارٍ وابْنِ عَم

ويعرج معقل بن حمار البارقي على ترفع الكريم وتجاوزه عن الدنيئة في سبيل الجار وبعده عن الظلم له أو إذلاله، فيقول :[2]

أغَرَّ كَأنَّ جَبْهتَهُ هِلالٌ          لِظُلْمِ الجَارِ والمَوْلَى عَيُوفُ

على الرغم من أننا نتحدث فيما مر من صفحات عن إكرام الجار عند العرب بصورة شاملة إلا أن الشعر يضطرنا للحديث عن الإطعام خاصة ورد الجوع عن الجيران ويجر الحديث الشاعر إلى أن يصف ما يحدث لجيرانه من الفاقة، والعوز وكيف يكون الجار بمروءته وحنانه على جاره يقظا يشعر بحاجة جاره إلى الزاد فيسرع يطعم الجار ويمنع عنه الجوع ويبعد عنه المسغبة والذلة، يقول الأعشى في ذلك :[3]

الشَّافِعُون الجُوْعَ عَنْ جَارِهِم          حَتَّى يُرَى كَالغُصْنِ النَّاضِرِ

وينص عبيد بن الأبرص في شعره على خصوصية العناية بالأرملة واليتيم مع الجار الذى ينال حظه من الإكرام والحماية فيقول :[4]

نَحْمِي حقيقَتَنَا وَنَمْنَعُ جَارَنَا          وَنَلِفُّ بَيْنَ أَرَامِلِ الأَيْتَامِ

وله أيضًا :[5]

أَيَّامُ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ سُوْقَة          لِمُعَصَّبٍ وَلِبَائِسٍ وَلِعَانِي
وَلَنِعْمَ أَيْسَارُ الجَزُورِ إذَا زَهَتْ          رِيحُ الشِّتَاءِ، وَمَأْلَفُ الجِيرَانَ

---

(١) ديوان طرفة، ص ٨٧.
(٢) قصائد جاهلية نادرة، ص ١١٦.
(٣) ديوان الأعشى، ص ١٩٥.
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٢٣.
(٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٣١.



www.mtenback.com

وفي شعر علقمة الفحل شاهد على إطعام الطعام للجيران خاصة وتفضيل ابن الجار على أبنائهم، فيقول:[1]

أَمْسَى بَنُو نَهْشَلٍ نَيَّانُ دُونَهُمُ    المطعِمُونَ ابْنَ جَارِهِمُ إِذَا جَاعَا

ويمدح لبيد الأجواد في يوم الشتاء وضنك العيش عندما يعود فضلهم على جيرانهم خاصة فيقول فيهم:[2]

وَإِذَا شَتَوْا عَادَتْ علىٰ جِيْرَانِهِمْ    رُجُحٌ تُوَفِّيهَا مَرَابِعُ كُومْ

ولا ينقطع الحديث في كلام العرب وفي شعرهم عن ذكر التفضل على الجار والعناية به واشباع جوعه وسد حاجته من مؤونة الطعام كما ذكر عبيد بن عبد العزى السلاماني:[3]

عَلىٰ الجَارِ والأَضْيَافِ والسَّائِلِ الَّذِي    شَكَا مَغْرَمًا أَوْ مَسَّهُ ضُرُّ مُعْسِرِ

ويوصي الأعشى بالجار خيرا ويقرر حقيقة يعرفها الناس كافة وهو أن الجار منتقل لا محالة فليكن الإحسان إليه ما دام مقيما في الحي ومجاورًا في القوم، فيقول:[4]

والجَارُ أُوصِيكُمُ بِالجَارِ إِنَّ لَهُ    يَوْمًا مِن الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ

ومن شعر طرفة بن العبد البيت التالي حيث يصف حاجة الجار إلى الطعام ووجوب البر به فيقول[5]:

يَغْشَاهُمُ البَائِسُ المُدْقِعُ    والضَّيفُ وَجَارٌ مُجَاوِرٌ جُنُبُ

وثمن إكرام الجار هو الحمد الذي يسعى إليه الكريم ويود أن ينال حظه منه غير منقوص الجانب وهذا ما صرح به عبيد بن الأبرص الذي يعلن أنه يكرم

---

(١) ديوان علقمة الفحل، ص ١٢٦.
(٢) ديوان لبيد، ص ١٣٦.
(٣) قصائد جاهلية نادرة، ص ١٣١.
(٤) ديوان الأعشى، ص ٣٥٩.
(٥) ديوان طرفة، ص ١٤٠.



www.mtenback.com

الجار حتى يكسب حمده ويسمي ذلك شراء مقابل الفضل الذي يقدمه فيقول[١] :

أَشْرِي البِلَادَ بِحِمْدِ الجارِ أَبْـذُلُهُ        حَتىًّ أَصِيـرَ رَمِيْمَا تَحْتَ أَلْـوَاحِ

ويتفاعل مع هموم الجار ويعيشها واقعا في شعوره عندما ينال الجار همٌّ وغم ويدعي أنه يشاركه همه وغمة فيقول[٢] :

وَجَدْتُ خَتُونَ القَومِ كَالعُزّيِ يُتّقيَ        وَمَـا خِلْتُ غَمَّ الجَارِ إلاَّ بِمَعْهَـدِي

أما الأعشى فلا يبرح يعلم أساليب حماية الجار وحسن معاملته ويحث أن يرعى فلا يشتم بل يعامل معاملة فيها من الرقة والحنان ما يرفع عن المجاور الحرج فيقول[٣] :

وَلَا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَا لَسْتَ مُنْجزًا        ولا تَشْتُمَنْ جَارًا لَطِيفًا مُصَافِيَـا

ويردف قوله بقول آخر يمدح فيه الذين يحوطون الجار بكامل العناية ويصف هذا الخلق وصفا جميلا . . . فيجعله صفة يقول فيها[٤] :

الـرَّفِيْئِينَ بـالجِـوَارِ فَمَا يُغْـ        ـتَالُ جَارٌ لَهُمْ بِظَهْرِ المغِيبِ

ويفسر لبيد لنا هذا الحرص من الأعشى بالرأفة في الجيران ويبين الفارق بين الحالتين إذ يجعل هوان الجار إحدى الدواهي الماحقات للمروءة والكرم، فيقول[٥] :

وإِنَّ هَـوَانَ الجَـارِ لِلجَارِ مُؤْلِمٌ        وَفَـاقِـرةٌ تَـأْوِي إِلَيْهَـا الفَـواقِـرُ

ويجعل احترام الجار والوفاء بحقه دينا عظيما يؤديه هو وقومه، فيفخر بذلك ويقول[٦] :

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٥٥

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٥٥.

(٣) ديوان الأعشى، ص ٣٧٩.

(٤) ديوان الأعشى، ص ٣٨٣.

(٥) ديوان لبيد، ص ٢٢٠.

(٦) ديوان لبيد، ص ٢٥٢.



www.mtenback.com

نُؤَدِّي العَظِيْمَ لِلجَوارِ وَنَبْتَنِي فِعَالاً وَقَدْ نَنْكي العَدُوَّ المساجِلا

ولا نزال مع لبيد في وصفه لحقوق الجار وأهمية الحفاظ عليها ولا سيما الطعام للجار والضيف، فيقول[1] :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعُوْتُ لَحَتْفِهَا بمَغَالقٍ مُتَشَابِه أَجْسَامُهَا
أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أو مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِجِيرانِ الجَمِيعِ لِحَامُهَا
فَالضَّيْفُ وَالجَارُ الجَنِيبُ كَأَنَّما هَبَطا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا

ولم يبق مجال لحديث أطول عن قيمة إكرام الجار وفلسفة العرب للجوار وغرضهم من المحافظة عليه والاعتناء به واحترام معناه واتفاقهم على خصوصية علاقة الجوار مع اختلاف الوسائل إلى هذه الخصوصية وتعددها إلا أنها في كل مذهب تصب في مصب واحد وتقود إلى غاية واحدة هي الثناء على المجير واحترام مكانته وشعوره بالرضا عن نفسه عندما يعز جاره ويقوى سنده بجيرته، وهو في معناه الشامل اعتراف بقوة المجير وحمايته وهيبة جانبه في مجتمع يقدر الهيبة ويحترم القوة ويتطلع إلى المعالي كلها ويتنافس على مكارم الأخلاق، ويهمنا ما يقدمه الشعر من تحديد أولي لمعنى المروءة ونظرة العربي المعيارية لتحليل مبدأ المحافظة والأكرام للجار وهو معيار يقابله سياق الذم لمن يتخلى عن التقليد العربي فتجرح كبرياؤه ويحرج وموقفه.

وقد انعدم الفاصل الزمني في لغة الشعر فتلاحمت الظروف والأحوال وتقاربت المعاني وتكررت الصور عند الشعراء منذ الجاهلية. تكررت عند امرىء القيس والسموأل وهما من متقدمي الشعراء إلى آخر ما قاله شعراء العصر الأموي. وذلك أن النمط الشعري والقالب الصياغي للدلالة الاجتماعية أصبح ثابتا يكرره الشاعر ولا يجدد فيه إلا ما تمليه مناسبة خاصة أو ذكر اسم ممدوح معين ولهذا تشابه النموذج لديهم وتقسمته الشعراء دون أن تبعد به عن أصله الأول في خيال السابقين.

---

(١) ديوان لبيد، ص ٣١٨.



www.mtenback.com

## مدح الجـار :

مضى الفخر بحماية الجار والتمدح بعزته والظهور بأن جـار الشاعـر منيع الجانب ولا يطوله ضيم ولا تصل إليه مذلة، وبالغ الشعراء في هذا الأمر حتى وصلوا درجة حادة من صور المبالغة، مما يجعـل من لا يعرف عـادات العرب يشك في صدقهم فيما يتمدحون به من خصال المروءة. وقد يثور جدل حول حقيقة الحماية للجار، هل هي واقع أو تصور للعزة يجعلون الجار فيها مدار المدح أمام التحدي ؟ وقد يكون الدليل في هذه الحالة غير مقنع عند كلا الطرفين حتى لو وجد من النصوص الشعرية القول الصريح الذي لا يقبل الشك مثل قول الحطيئة[1] :

جَـاوَرْتُ آلَ مُقَلَّدٍ فَحَمَـدْتُهُم ... إِذْ لاَ يَكَـادُ أَخُو جَـوارٍ يُحْمَدُ

ولولا ما عرف عن الشاعر من خبث النفس والميل إلى هدم الثقة بالناس وحب الهجاء وسلب المحامد لكان معنى هذا البيت خطيرا حقا، لكن المصادر تجعل الحطيئة دنيء النفس لئيم الطبع، وهذا ما يفسر بيته على أنه شرح لنظرته الخاصة، لا تعمم على غيره من الناس، وإن وجد من يسيء الجوار دون شك، فإن هناك من يحسنه وسيأتي من النوعين أمثلة.

لكن يحسن الميل إلى محاولة تقديم البرهان على ما يؤيد الرأي القائل بعزة الجار والشعور بحقه وعدم التهاون فيه. ولابد أن يشعر الباحث بضرورة العودة إلى الشعر لمحاولة فهم النظرة العامة من أحد جانبي القضية وهو المستجير إذا أصبح غريبا عن قومه بعيدا عن أرضه تتقاذفه الظروف القـاسية فيلجـأ إلى الاستجارة لحمايته ويحل على بعض العرب ليأمن في جواره بطش القوة التي قد يتعرض لها فيما لو بقي دون حماية تقية العدوان.

والمستجير قد يكون شاعرا يسجل ما يواجه من ألوان الحياة ومعاملة الناس بشعره ويتعرض للحديث عن الجار ومعاملته في حالتي الرضاء والغضب. ولن

(١) ديوان الحطيئة، ص ١٩٠.



موقع مكتبة المتنبي www.mtenback.com

www.mtenback.com

يستطيع أحد منعه من وصف المعاملة التي لقيها في غربته بعد أن بعد عن قومه ومصدر قوته. ولا سيما أن أثر الإكرام في نفس الرجل العربي يبقى طويلا ويستمر دائم الذكرى لما يواجه من صروف الحياة وأشكال المعاملة التي يطبع بها شعوره قبل شعره. وقد جرى على ألسنة الشعراء شيء من الشعر الذي كان دافعه الأول الشعور بالجميل وعظم المنة التي لا يستطيع الشاعر إهمالها أو غض الطرف عنها، ومن أهم ما جرى على ألسنة الشعراء أبيات جاءت في ديوان طفيل الغنوي عندما لجأ هو وبعض قومه إلى بني كلاب فنال الشاعر فضلهم وكرم أخلاقهم وأثقله معروفهم ثم تحول عنهم إلى بلاد قومه فكان رد فعله إزاء الجيران وما بذلوه له ولقومه أبياتا يتلاحم معناها مع الوجدان بما يجعلها تصل إلى المتلقي وتتغلغل في داخله وتعطي صورة تمكن في نفس القارئ فضل هؤلاء القوم على جارهم فجاءت أبياته بأسلوب بياني رفيع وصورة رائعة للكرم وأثره في نفس المرء رسمت أبعاد تأثره بما ناله منه وقد جاءت كالتالي[1]:

جَزَى اللّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزلَقَتْ ... بِنَا نَعْلُنَا فِي الوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ
هُمُ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَلْجَأُوا ... إِلى حَجَرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَكَنَّتِ
أَبَوا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا ... تُلاقِي الَّذِي لاَ قَوهُ مِنَّا لَمَلَّتِ
وَقَالُوا هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَى تَبَيَّنُوا ... وَتَنْجَلِيَ العَمْيَاءُ عَمَّا تَجَلَّتِ
سَنَجْزِي بِإِحْسَانِ الأَيَادِي التي مَضَتْ ... لَهَا عِنْدَنَا مَا كَبَّرَتْ وأَهَلَّتِ

لو لم يكن في الشعر العربي كله ثناء على حسن الجوار والصبر على مشقة المحافظة عليه واستمرار القناعة بفضله إلا هذه الأبيات لكانت كافية للدلالة على ما يتمتع به الجار من حرمة وما يجب على المجير من حق تجاهه، ولم أجد فيما مرَّ علي من الشعر العربي قطعة بلغت من الجودة والشعور الصادق ما بلغت أبيات طفيل وقد جعل صبر جيرانهم على إكرامهم وحمايتهم شيئا لا يستطاع حتى إنه لو كان عبء المعاناة الذي يقاسيه جيرانه منه على أمّه لملت منه، واشتكت من ثقله على حين ظل جيرانه صابرين لا يملون ولا يتضجرون، وقد

(١) ديوان طفيل الغنوي، ص ٩٨.



www.mtenback.com

كانت هذه الأبيات مشهورة معروفة لدى العرب، يؤمن بها المحدثون والرواة والنقلة للمأثور العربي الكريم، حتى إن أبا بكر رضي الله عنه لم يجد للأنصار رضي الله عنهم شبها في إيوائهم للمهاجرين وإيثارهم لهم إلا هذه الأبيات عندما أراد أن يذكر فضل الأنصار ولم يزد شيئا على إنشاد القطعة أمامهم مكتفيا بدلالتها الاجتماعية. والحقيقة أنه لم ينطق شاعر عربي بمدح يصل إلى مثل ما وصلت إليه أبيات طفيل من صدق وحسن تصوير وشعور بأنه قد وقع تحت تأثير العمل الكريم الذي أشعره بجميل القوم عليه وعجزه عن شكرهم إلا بالثناء الحسن كما سطره في الأبيات السابقة فكانت دُرَّة في جبين الشعر وشاهدا حيا على صدق العرب فيما يدعون من مبالغة في إكرام الجيران وحماية المستجير، الأمر الذي يجعل من لا يعرف عادات العرب وتقاليدها يظن أن وصفهم لمكانة الجار فيهم، والتزامهم بحقوقه كل الالتزام، مبالغة تصل إلى حد التجاوز غير المقبول في المدح. لكن هذه الأبيات ومثلها مما يقول المادحون للجيران تمحو الظن وتبعد شبح المبالغة، لأن الشاعر هنا لا يثني على نفسه ولا يمدح قومه بل يصف ما لقي من الرعاية، والحفاوة من جيرانه عندما حل فيهم جارا غريبا عنهم. ولا يمكن أن يثني على من لا يرعى حقه ويكرمه لا سيما الثناء بعد الفراق.

ومثل الأبيات السابقة المغرفة في وصف أريحية الجار وعنايته بالمستجير أبيات أخرى للشاعر نفسه في حي آخر من أحياء العرب حل فيه كما حل في حي بني جعفر ثم فارق الحي بذكر عطر ومحمدة سيارة، وصف فيها ما لقيه من كرم الجوار وحسن المعشر وصفا يقارب وصفه الأول لبني جعفر، فقال يمدح بني سعد بن عوف[1]:

جَزَى اللّهُ عوفًا مِنَ مَوالِي جَنَابَةٍ ... ونكْـرَاء خَيْـرًا كُـلُّ جَـارٍ مُـودِّعُ
أَبَـاحُـوا لَنَـا قَـوًّا ورَمْلَةَ عَـالِـجٍ ... وَخَبْتًـا وَهَـلْ خَبْتٌ لَنَـا مُتَـرَبَّـعُ
نَشُقُّ اللِّهَـاد الحَـوَّ لَمْ تُـرْعَ قَبْلَنَـا ... كَمَـا شُقَّ بِالْمُـوسِ السَّنَامُ المَتلَّعُ

---

(١) ديوان طفيل الغنوي، ص ٨٥.



www.mtenback.com

وَقَـدْ عَلِمُـوا أَنَّـا سَنأتِي دِيَـارَنَا ... فَيَرْعُونَ أَجْوَازَ العِرَاقِ ونَـرْفَعُ
وَقَدْ حَاذَرُوا مَا الجارُ والضَّيْفُ مُخْبِرٌ ... إذا فَـارقَا كُـلٌّ بـذلـكَ مُولَـعُ
وَمَـا أَنَا بِـالمُسْتَنْكِـرِ البَيْنَ إنَّني ... بِـذِي لُطَفِ الجِيرَانِ قِدْمًا مُفَجَّعُ
جَـدِيـرًا بِهِمْ مِن كُـلِّ حَيٍّ أَلِفْتُهُمْ ... إذا أَنَسٌ عَـزُّوا عَلَيَّ تَصَـدَّعُـوا

هذا شاعر واحد مر عليه حالان كان في كل منهما جارا لحيين من أحياء العرب ونزيلا عليهما، كان في الأول نزيل - بني جعفر - لاجئا من الفتك ومستجيرا من أذى قد يصيبه وقد تحمل الحي حمايته وما يتعلق بالحماية من استعداد وصبر ونضال من أجله، وقد كان في ذلك يشعر بأن وجوده في بني جعفر قد أضاف مشقة كبيرة إليهم حتى إنه شك في أن الأم الرؤوم لا تستطيع أن تتحمل ما تحملت بنو جعفر من جراء جواره. أما الحال الثاني فقد كان الظرف مختلفا وإن كان أخف من الأول إلا أنه ظرف يحتاج إلى درجة من الصبر والتحمل فقد أجدبت أرضه وأرض قومه وأمرعت أرض بني عوف فصار إليهم طالبا المرعى فكانت أريحيتهم وتلطفهم بالجار أن جعلوه لا يرعى فقط، بل يسبقهم إلى قفر النبات ويفضلهم بالوصول إليه حتى لا تكدر سوائمهم على سائمته ولا تعبث باختلاء المرعى قبل جارهم الذي لجأ إليهم. وما يحتاجه الباحث هو التعليل الذي جعل العرب تكرم الجار وتبالغ في إكرامه حتى تصل به حد الخرافة. وليس لذلك من سبب في رأيي غير شعورها بالقيمة المعنوية وحبها الفضائل مع ما يحس به العربي من حتمية التكافل في بيئة الصحراء فتردد ذلك على ألسنة الشعراء حتى بزت كل من ينافسها المكارم من غيرها، سواء كان من القبيلة أو كان أجنبيا عنها وقد ذكر الطفيل ذلك صراحة في شعره إذ صور إكرام بني عوف في شكل استفهام وتعجب ثم رسم الجواب في أنهم قد علموا أن كلا من الجار والضيف مغادر لا محالة وتارك لا شك في ذلك وهو في تركه محدثا عما يلقى من صور المكارم الأخلاقية التي يحرص العرب عليها كما يحرص التاجر الناجح على جمع المال، وتنمية مصادره، كما أنهم حريصون على نشرها في الناس، وأي سيرورة أسرع من الشعر، وأي نشر أقوى منه وهو مصدر يردده المنشد مع الأجيال؟ ومصدر الحمد هو إكرام الجار والضيف والصبر على



www.mtenback.com

ما يقابل ذلك من صور التحدي الاجتماعي في البيئة الشاقة التي لا ترحم الضعيف ولولا الشعور والتحدي ما كانت المكارم والشيم بهذا المكان ولكن المشقة فيها، جعلت الذين يتجاوزون المشاق إلى الفضائل ندرة في المجتمع العربي وجعلت الثناء عليهم ثناء صادقا لا يشوبه شيء من النفاق أو التملق، وقد صدق أبو الطيب عندما صور معاناة الكريم والشجاع فقال:[1]

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلهُمُ ... الْجُودُ يُفْقِرُ والإِقْدَامُ قَتَّالُ

والإحساس بمشقة كهذه هو الذي جعل الشعراء يلهجون بفضائل أهل الصبر ويخلدونهم مع الأيام.

وقد كان للطفيل تجربة غنية غير التجربتين السابقتين، جعل مدار الثناء فيها والحمد لحي ثالث من أحياء العرب وموضوع الحمد هو إكرام الجار وتفضيل إبله في المرعى حتى يتقشع الشحم أسنمتها، فلا تستطيع السير وكأنها ظلع وما هي بظلع، يقول في ذلك:[2]

إذَا دَعَاهُنَّ ارْعَوِيْنَ لصَوته ... كَمَا يَرْعوِي غِيدٌ إِلَىٰ صَوْتِ مُسْمعِ
وَقَدْ سَمِنَتْ حَتَّى كَأَنَّ مَخاضَهَا ... تَقَشَّعهَا ظَلْعٌ ولَيسَتْ بِضَلْعِ
مُجَاوِرَةً عَبْدَ المَدَانِ وَمَنْ يَكُنْ ... مُجَاوِرَهُم بالقَهْرِ لا يَتَطَلَّعُ
أُنَاسٌ إذا مَا أَنْكَرَ الكلْبُ أَهْلَهُ ... حَمَوا جَارَهُم من كُلِّ شَنْعَاءَ مِضْلِعِ
فَإِنْ فَزِعُوا طَارُوا إِلَىٰ كُلِّ سَابِحٍ ... شَديدِ القُصَيْرَى سَابِغِ الضِّلْعِ جَرْسَعِ
تَجِيْءُ بِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ عَوابِسًا ... مُسَوَّمَةً تَرْدِي بِكُلِّ مُقَنَّعِ

وإذا ما تجاوزنا ذكر الجيران وصورة الإكرام العام التي وصفها الطفيل، وحاولنا الدخول إلى موضوع آخر وهو خاصية الجوار، فإن حاتما الطائي يظهر لنا جانبا مشرقا من العلاقة الإنسانية للجوار عند بعض العرب ويتصدر ذلك حق المرأة الجارة التي يحرص جارها أن تبلغ بجوارة الحد الأقصى من الرفاه والرعاية والحفظ لشرفها

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، جـ ٣، ص ٢٨٧.
(٢) ديوان طفيل الغنوي، ص ٥٤.



www.mtenback.com

وكرامتها وألا تواجه مشكلات الحياة ولا تصير إلى الجوع والمتربة، يقول حاتم الطائى :[1]

إنْ كُنْتِ كَارِهَةً لِعيشَتِنَا ... هَاتا فَحُلِّي في بَني بَدْرِ
جَاوَرْتُهُم زَمنَ الفَسَادِ فَنِعْـ ... ـمَ الحَيُّ في العَوْصَاءِ واليُسْرِ
فَسُقِيْتُ بِالمَاءِ النَّمِيْرِ وَلَمْ ... أتْرَكْ أُلاطِسُ حَمْأَةَ الحفرِ
وَدُعِيْتُ في أولى النَّدِيِّ وَلَمْ ... يُنْظَرْ إليَّ بِأَعْيُنٍ خُزْرِ
الخَالِطِينَ نَجِيْتَهُمْ بِنُضَارِهِم ... وَذَوْي الغِنى مِنْهُم بِذي الفقْرِ

فالشاعر قد ذهبت بذكر كرمه الركبان وسار مع الناس مسير الشمس، ولم يجد عندما عاتبته زوجه على شظف العيش، وطلبت الغنى، والتمتع برياش الحياة إلا أن يخبرها أن ذلك لا يتحقق لها إلا أن تكون جارة لبني بدر الذين سوف يغنون جيرانهم حتى في زمن الشح وقسوة الطبيعة وذهاب الجود من الذين يعرف عنهم، أما بنو بدر كما يصورهم حاتم فإن جارهم سيكون في مأمن من العوز والفقر، بل سيغنى إذا لم يرض بالحياة التى تهيأت له في كنف قومه وفي دياره، ولم يكن حاتم وحده في هذا الرأي بل إن الشعراء وصفوا بشعرهم أن الجيران لا يكتفون بحماية الجار من الاعتداء فقط لكنهم يجيرونه من الدهر ويغالبون الزمن أيضا من أجله، فعمرو بن أحمر الباهلي يمدح قوما فيقول : إن الشتاء لا يستطيع أن ينال من جارهم ولا يصل إليه لأنهم سيحمونه من الفقر الذى يعانيه الناس في هذا الفصل حيث تشتد الطبيعة وتقسو الحياة على الناس ويقل الخير وتحل المجاعة وتقوى الحاجة إلى الزاد واللحاف والمؤونة، فيقول :[2]

إذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بِدارِ قومٍ ... تَجنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشِّتَاءُ

أما الحماية المعروفة التى هي الأصل في البحث عن الجوار، فقد تحدث عنها الشعَراء المستجيرون ومدحوا الجيران الذين وفوا في الجوار وحققوا الحماية

---

(١) ديوان حاتم الطائي ٢١٥. سنخص الجارة بفصل كامل من هذا الكتاب.

(٢) ديوان عمرو بن أحمر الباهلي ص ٣٩. والبيت في قصيدة للحطيئة في ديوانه برواية ابن السكيت تحقيق نعمان محمد أمين طه، جـ ١، ص ٨٨.



www.mtenback.com

والأمن واستحقوا الثناء العطر من المستجير وهي شهادة الشعر التي نتحدث عنها منذ بداية هذا الفصل القصير إذ يعلن الشاعر المستجير البراءة لجيرانه ويعترف بأنهم وفوا بعهدهم حين قطعوا ذلك العهد عليهم، يقول حاتم الطائي :(١)

فَمَنْ لَمْ يُوفِ بالجِيْرَانِ قِدْمًا ... فَقَدْ أَوْفَتْ مُعَاوِيَةُ بنُ بكْرِ

بينما يخص عامر بن طفيل خذام بن زيد بالوفاء والقوة والمتعة ويعلن للعرب كافة أن هذه القبيلة قادرة على أن تحقق الحماية التامة لجيرانها وأن تحول بينهم وبين كل مكروه يراد بهم، فيقول :(٢)

إذَا شِئْتَ أَنْ تَلقَى المَنَاعَةَ فَاسْتَجِرْ ... خِذَامَ بْنَ زَيْدٍ إنْ أَجَارَ خِذَامُ
دَعَوْتُ أبَا الجبَّارِ أَخْتَصَّ مَالكًا ... ولم يَكُ قِدْمًا مَنْ أجرت يُضَامُ
فقَامَ أبُو الجَبَّارِ يَهْتَزُّ للنَّدى ... كمَا اهتَزَّ عَضْبُ الشَّفرتَيْنِ حُسَامُ
وكنْتُ سَنَامًا منْ فِزارةَ تَامِكًا ... وفي كُلِّ قَوْمٍ ذِرْوَةٌ وَسَنَامُ
فَنكَّبْتَ عنّي الشَّارِعيْنَ ولمْ أكُنْ ... مَخَافَةَ شَرِّ الشارِعيْنَ أنَامُ

وليس شعر امرئ القيس في بني ثعل وثناؤه عليهم إلا شاهدا آخر لا يستطيع أحد دفعه فقد أجارته بنو ثعل، وأتموا عهده وأصبح لسانه يلهج بفضلهم وبالثناء عليهم، فيقول :(٣)

بَنُو ثُعَلٍ جِيْرَانُهَا وَحُمَاتُهَا ... وتُمْنَعُ مِنْ رُمَاةِ سَعْدٍ ونَابِلِ

ويصل في ذكر الإصرار على حماية الجار درجة التحدي فيقول في أهل أجأ الذين استجار بهم فوجد عندهم الدفاع عنه وعن حوزته(٤)

أَبَتْ أَجَأٌ أنْ تُسْلِمَ الْعَامَ جَارَهَا ... فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مُقَاتِلِ

وهذه صورة للاستماتة في سبيل حماية الجار وفي سبيل الدفاع عنه حتى النهاية ولو كان فيها ذهاب النفس والمال والولد.

---

(١) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٠٨.
(٢) ديوان عامر بن الطفيل، ص ١٢٦.
(٣) ديوان امرئ القيس، ص ١٧٥.
(٤) ديوان امرئ القيس، ص ١٧٥.



www.mtenback.com

وهذا مسكين الدارمي يقول فى بني حمان :[1]

إذَا كُنْتُ في حَمَّانَ في عُقْرِ دَارِهِمْ ... فلسْتُ أُبَالِي مَنْ أَبَرَّ وَمَنْ فَجَرْ
إذا بَاتَ جارُ القَوْمِ عِنْدَ مَضِيْعَةٍ ... فَجَارُ بَنِي حَمَّانَ بَاتَ مَعَ القَمَرْ
تَبِيتُ رِماحُ الخطِّ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ ... كَأَنَّ الوُعُولَ ثَمَّ بِتْنَ مَعَ الْبَقَرْ

أما الحطيئة فيقول :[2]

لَعَمْرُكَ ما المُجَاوِرُ في كُلَيْبٍ ... بِمُقْصَىً في الجوَارِ وَلاَ مُضَاعِ
هُمُ صَنَعٌ لِجَارِهُمُ وَلَيْسَتْ ... يَدُ الخرقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ
وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ... وَيَأكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ القِصَاعِ
وَجَارُهُمْ إذَا مَا حَلَّ فِيهِم ... على أكْنَافِ رَابِيَةٍ يَفَاعِ

ولابد ونحن نتابع محامد العرب ووصفهم لجيرانهم بالفضل وذكرهم للجميل من الاسترسال قليلا مع شعر الشعراء الذين لا يشك أحد بصدقهم في كل ما ذكروا من فضائل التمسك بأهداب الجوار ومراعاة حقه لأن الشعر جاء ثناء يلهج به لسان المُنْعَم عليه من الشعراء بحمد جيرانه أهل النعمة فينتشر ذكرهم في الناس. والشاعر ينال عناية خاصة ويطمع كل عربي كريم بأن يكون جاره شاعرا وأن يحسن إليه حتى ورد في قصص الأدب أنهم يحرصون على إغراء الشاعر بجوارهم وبلغ الأمر ببعض الشعراء أن يطلب المستحيل من مجيره لكي يستجير به. ونمثل على ذلك بقصة الأعشى الذي طلب جوار علقمة بن علاثة واشترط عليه شروطًا تعجيزية منها أن يجيره من الموت[3] ومنها جوار الزبرقان للحطيئة وعرضه عليه أن يكون له جارا وأن يكفيه مؤونة عياله ولم يكن الحطيئة باحثا عن جوار، وإنما لقيه الزبرقان وهو في فلاة فلما عرفه عرض عليه هذا العرض طمعا في مدحه وثنائه فجاء أنداد الزبرقان من بني عمه بعروض مغرية

(١) ديوان مسكين الدارمي، ص ٣٤.
(٢) ديوان الحطيئة، ص ١٣٧.
(٣) الأغاني، جـ ٩، ص ١١٧، وقد مضى الحديث عنها في البحث.



www.mtenback.com

إن هو ترك جوار الزبرقان وانتقل إليهم ففعل ذلك. ولولا الطمع[1] بـالمدح ما كان للشاعر مكانة خاصة، ولولا طلب الذكر الحسن ما تحمل العربي أعباء الجوار وتبعاته، إذن الجوار لم يكن بلا مقابل بل هناك ثمن مدفوع للمجير الذي يرعى الجار ويحسن إليه وهذا الثمن هو أغلى ما يستطيع الإنسان امتلاكه في الحياة كلها بل هو حياة أبدية وخلود دائم وعمر لا يموت ولا ينقضي وقد خلد الشعر الأجواد وأبقى ذكرهم حيا في التاريخ، بينما ذهب المال وذهب السلطان ولم يبق منه شيء[2].

خلد الشعر بني أنف الناقة وخلد بني عوف وبني جعفر وخلد الشعر عرابة الأوسي وغيرهم آخرين. كما أخمل الشعراء والشعر جماعات وقبائل ورجـالا آخرين فـأنزلهم من عليا المجد إلى مجاهل النسيان وطمست أمجادهم من ذاكرة التاريخ.

ومـا دام الشعر ثمنـا للمعروف والجـود والمرءوة أوعقـابـا على التنكـر والبخـل والضعف، فإن الشاعر يعرف كيف يقايض بشعره، فإن نالـه خير كـان لسانـه قادرا على دفع الثمن للمحسن وإن ناله شر كان لسانه أيضا قادرا على دفع الشر عنه.

وقد تعامل طرفة بن العبد مع واقعه شعرا، فقال:[3]

إنِّي كَفَـانِيَ من أمْـرٍ هَمَمْتُ بِـهِ ... جَارٌ كَجَارِ الحُذَاميْ الَّذي اتَّصَفَا

فهو يقابل جميلا أسدي إليه بقول جميل لديه. وامرؤ القيس عندما يقول:[4]

نَزَلْتُ عَلىٰ عَمْرِو بْنِ دَرْمَـاءَ بَلْطَةً ... فَيَا كَرْمَ مَا جَارٍ وَيَا حُسْنَ مَا مَحَلْ

يرد جميلا ويثني بمعروف ويكافيء على فضل وليس غير ذلك.

---

(١) انظر هذا المعنى في ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، ص ٤، وقصة جوار الحطيئة للزبرقان ثم تحوله إلى بني أنف الناقة لها روايات في الأغاني وفي شروحات الشعر يختلف بعضها عن بعض.

(٢) سأل عمر بن الخطاب أحد أبناء هرم عن شعر زهير فيهم فقالوا كنا نعطيه فنجزل. فقال عمر ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم.

(٣) ديوان طرفة، ص ١٧٧.

(٤) ديوان امرئ، ص ١٩٧.



www.mtenback.com

ويقول أيضًا[1] :

فَمَا جَارٌ بِأُوثَقَ مِنْكَ عهْدًا ... فنصْرُكَ للفَرِيدِ أعزُّ نَصْرِ

وله في المعنى نفسه[2] :

أَدَّوْا إلى جَارِهِمْ خَفَارَتَهُ ... وَلَمْ يَضِعْ بالمَغِيْبِ مَنْ نَصَرُوا

ومن هذا المنطلق منطلق المكافأة والمقايضة سنجد تفسيرا مناسبا لقيمة الشعر عند العرب وأهمية شعر المدح الذي يخلد مكارم الأخلاق ويدفع إلى العمل من أجلها فيقول الحطيئة واصفا فضل المحسنين[3] :

رَدُّوا عَلَىٰ جَارِ مَوْلَاهُم بِمَهْلَكَةٍ ... لَوْلَا الإِلهُ وَلَوْلَا فَضْلُهُمْ ذَهَبَا

لَنْ يَتْرُكُوا جَارَ مَوْلَاهُمْ بِمَتْلَفَةٍ ... غَبْرَاءَ ثَمَّتَ يَطْوُوا دُونَهُ السَّبَبَا

حتى قال في مدح ممدوحة :

أَخْرَجْتَ جَارَهُمُ مِنْ قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... لَوْ لَمْ تُغِثْهُ ثَوَىٰ في قَعْرِهِ حِقَبَا

ويعرف الشاعر قيمة مدحه ويثمنه ويحدد الغرض منه مقابل المعروف المبذول له فيقول الحطيئة أيضا[4] :

لأَمْدَحَنَّ بِمِدْحَةٍ مَذْكُورَةٍ ... أَهْلَ القُرَيَّةِ مِنْ بَنِي ذُهْلِ

الضَّامِنِينَ لِمَالِ جَارِهِمُ ... حتَّى تُتِمَّ نَوَاهِضُ البَقْلِ

وقد يتلون الخطاب في لغة مدح الجار ويتحين المادح حسن المناسبة ثم يعرج على مدح نفسه وقومه بخطاب الغائب حتى يظن القارئ أو السامع أنه يمدح منعمين أو ذوي منة، وهو في الواقع ما يمدح غير نفسه وقومه. يقول عبيد بن عبد العزى السلاماني في مثل هذا الحال[5] :

---

(1) ديوان امرىء القيس، ص ٢٦٠.
(2) ديوان امرىء القيس ص ١٣٢.
(3) ديوان الحطيئة، ص ١٢٨.
(4) ديوان الحطيئة، ص ٢٦٥.
(5) قصائد جاهلية نادرة، ص ١٣٢.



www.mtenback.com

أولئك قومٌ يـأمَنُ الجـارُ بينَهُم ... وَيُشْفِقُ مِن صَولاَتِهِمْ كُلُّ مُخْفِرِ
مَرَافِيدُ للمَوْلَى مَحَاشِيْدُ لِلْقِرَىٰ ... عَلَىٰ الجَارِ والمُسْتأنِسِ المتنوِّرِ
إذا ظِلُّ قَوْمٍ كانَ ظِلَّ غَيَـايَةٍ[١] ... تُذَعْذِعُهُ الأرْوَاحُ من كُلِ مَخْفَرِ
فـإنَّ لنا ظِـلاًّ تَكَاثَفَ وانـطَوَتْ ... عَلَيْهِ أَرَاعِيلُ العَدِيدِ المُجَمْهَرِ

ومن المدح ما يوجه إلى الجار عند انقضاء مدة الجوار وانتهاء علاقة المستجير بمن أجاره فيكون الباعث إليه الذكرى الطيبة ورد الجميـل إلى المحسنين من الجيران. وإذا كان المدح عند الانتقال والرحيل فإن الشاعر يبدأ بمثل أبيـات النابغة الذبياني قائلا[٢] :

لَا يُبعِدُ اللّهُ جِيرَانًـا تَـرَكْتهُمُ ... مِثْلَ المصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةَ الظُّلَمِ
لَا يَبْرَمُونَ إذَا مَـا الأفقُ جَلَّلَهُ ... بَرْدُ الشِّتاءِ مِنَ الأمْحَالِ كَالأُدُمِ

ومن نماذج المدح الثناء المشترك على عشيرة أو على قوم يمتون إلى المجد بنسب ويتخيل المادح أن لحمة القرابة تحقق إتمام الفضل فيمدحهم جميعا. وقد مدح النابغة الذبياني بهذا الأسلوب، فقال[٣] :

مَتَىٰ تَلْقَهُمْ لَا تلْقَ لـلبيْـت عَـوْرَةً ... ولا الضَّيفُ مَمْنُوعًا ولا الجَارُ ضَائِعًا
غَـدَاةَ غَـدَوا مِنهُم مُلُوكٌ وَسُـوقَةٌ ... يُـوصُّونَ بـالأفْضَـالِ أَبْيَضَ بَـارعَـا
بِحَمْـدِ ابنِ سَلْمىٰ إذْ شَأتني مَنِيَّتِي ... لَيَـالِي رَجَّيْتُ الفضُـولَ النَّـوافِعَـا

ويرد الثناء الذي يصف جمعا من الناس كقول بشر بن أبي خازم[٤] :

في فِتْيَةٍ لَا يُضامُ الدَّهْرَ جَارُهُمُ ... هُمُ الحُمَاةُ عَلَىٰ البَاقِينَ والسَّلَفُ

وقوله أيضا[٥] :

---

(١) الغياية : السحابة
(٢) ديوان النابغة، ص ١٠١.
(٣) ديوان النابغة، ص ١٠١.
(٤) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١٥٩.
(٥) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٢٢٧



www.mtenback.com

لِلَّه دَرُّ بَنِي الحَـذَّاءِ منْ نَفَـرٍ وَكُـلُّ جَارٍ عَلىٰ جِيـرَانِهِ كَلِبُ

ويشارك طرفة بن العبد بمدح الجيران جماعة ويغد جيرانه على مستوى الملوك فيصرح باسميهما، فيقول[1] :

وَكَـانَ لَهَـا جَـارَان قَـابُـوسُ مِنْهُـمَـا حَذَارًا ولَمْ أَسْتَرعِهَـا الشَّمْسَ والقَمَرْ
وَعمْـرُو بْن هندٍ كَـانَ مِمَّنْ أَجَـارَهَـا وَبَعْضُ الجِـوَارِ المُستَغَاثُ بِـهِ غَـرَرْ
فَمنْ كَـانَ ذَا جَـارٍ يخَـافُ جِـوَارَهُ فَجَـارَايَ أوفَى ذِمَّـةً وهُـمَـا أَبَـرّْ
سـأَحْلُبُ عَنْسًـا صَحْنَ سُمٍّ وأتَّقِي بِـهِ جِيْـرَتِي حَتَّى يُجَلُّوا إلىٰ الخَمَـرْ

ويبقى للنابغة بيتـان في مدح الجـار ولكنه جـوار الملك النعمان بن المنذر والخطاب تنصل لاثناء، فكان مدحه بالحفاظ على الجوار تـذكيرا لـه بالذمم المرعية بين الشاعر والملك وكأنه يذكره بحق الرعاية، فيقول[2] :

فَمَـا وخَـدَتْ بمثْلِكَ ذَاتُ غَـرْبٍ حَطُوطٌ فِي الزّمَـامِ ولاَ لَجُـونُ
أَبَـرَّ بِـذمَّـةٍ وأعَـزَّ جَـارًا إذا جَـعَـلَتْ عُـرَى مَـلِكٍ تَـلِيـنُ

ومن المسلم به أننا في مجال المدح والهجاء نقع أمام شعر يتغذى بالعـاطفة ويتعامل مع اللحظات الآنية التي يتعرض لها الشاعـر فيرسم إحسـاس تلك اللحظة في لوحة فنية تبقى للتداول الأبدي مع الحياة، وعلى الإنسان المتلقي أن يحسن التعامل مع هذه اللحظات ويقدر حرارتها في وجدان المبدع، فيجعل رأيه فيها معتمدا على عملية الانتقاء والاختزال والتبرير، واضعـا الخيال في مجـال حركة الفعل المحدودة حتى يصلح لـه الاستقراء الـواقعي. ويحاول تـرويض الشعـر لقبول استنتـاج العقل فيمكن النـظر إلى مرجعيـة الثقافـة الجاهليـة، واعتمادها على التجسيم في عرض الخيال والتعامل مع العـاطفة الايجابية في عصرها الذهبي، لأن الشاعر في شعره المادح لنماذج المروءة في بيئته يتعامل مع التعبير الجميل استجابة لما يحدده الموروث الاجتماعي ويحبه ويقدر القيام به، مع

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص ١٦١.
(٢) ديوان النابغة، ص ٢٢٢.



www.mtenback.com

وجود العامل التنافسي في المجموعة الصغيرة التي كانت هي الوحدة المعهودة لديه.

### هجاء الجار:

مضى الحديث عن مدح الجار وحرص العرب على حمايته واهتمامهم بحقه وحفظ حرمته والوفاء له، ومن الطبيعي أن يقابل هذا الحال حال آخر، فيوجد الشعر الذي يتهم بعض الناس بالتقصير بحقه أو يصفهم بالعجز عن حمايته. وما دام هناك مدح للجار الوفي فإن طبيعة الأمور تقضي أن يكون هناك هجاء للجار المتساهل في حقوق جاره، ولولا وجود المقصر ما صح التميز ولا قام القياس بين الحالين، حال الأوفياء الذين يدفعون الغالي والرخيص في سبيل الشرف السرمدي والذكر الحسن، وحال المتساهلين في أداء الواجب أو بمعنى آخر العاجزين عن حماية الجار المقصرين في حقوقه وواجباته. والمدح الذي يتوج به جبين الفريق الأول سيحل محله عار يحمله المقصر في الجوار، وإذا وجد المدح في حق الجيران المحافظين على خصال المروءة فسوف يوجد الذم والهجاء اللاذع للذين لا يحترمون علاقات الجوار ولا يحافظون عليها، وفي هذا الجانب سيكون الشعر شاهدا على ما يعتري العلاقة بين الحيين من قوة أو ضعف فيصف ذلك على الرغم من أن الباعث على المدح غير الباعث على الهجاء، فالمدح سمح الإرادة سهل المأخذ لا يجد المادح في ذكره معضلة اجتماعية ولا يحس خوفا أو قلقا نفسيا عندما يعمد إليه، وإن لم يكن صادقا كل الصدق. أما الهجاء فإن الشاعر يعيد النظر فيه ولا يقدم عليه خوفا من الانتقام أو سطوة المهجو أو حتى استهجان الناس لذم الجار والشماتة به أو خوف أن تحيق به عقوبة ظلمه وهجائه للناس بالباطل[1]. ومع هذا فقد وجد الشعر الذي يذم جوار بعض الناس ويشمت بهم، ولغة الذم وهجاء الجار غير سهلة ولا مقبولة. فيجد الهجاء في نفسه حرجا عندما يقدم على أمر لا يحمد فيه أحدا وقد يجر عليه مأساة أبدية، كأن يثور الانتقام وتقوم معركة الهجاء فلا يضمن نتيجة المعركة ولهذا

---

(١) انظر ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٥٦.



www.mtenback.com

السبب كان الشعر في هذا الجانب فيه روح التساؤل واللوم غير الصريح، يقول مَقَّاسُ العائذي[1]:

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... أَمُوفٍ بَأَدْراعِ ابْنِ ظَبْيَةَ أَمْ تُذَمْ
وَكُنتُ زُمَيْنًا جَارَ بَيْتٍ وَصَاحِبًا ... وَلَكِنَّ قَيْساً في مَسَامِعِهِ صَمَمْ

فالعائذي بدأ لومه متسائلا عما يمكن أن يفعل قيس في سبيل رد ما أخذ من جاره وقد ذكر أربعة أسماء بل سلسلة من النسب للمذموم وكأنه يستثيره بهذه السلسلة التي يعلنها أمام الناس ويريد أن يقول لجاره قيس : إنك إن لم تغر على نفسك وعلى الجوار حمية، فإن نسبك معرض للذم وعليك أن تغار عليه، ولا يلبث أن يؤكد العلاقة ويتهم الجار بعدم الاستجابة السريعة وكأن في أذنيه صمما لا يسمع النداء الموجه إليه بعلائق الجوار.

مثل هذا التساؤل عند مقاس العائذي جاء نص في الحماسة لامرأة قتل زوجها في جوار الزبرقان بن بدر ولم يثأر لجواره، فقالت[2]:

مَتَىٰ تَرِدُوا عُكَاظَ تُوافِقُوهَا ... بِأَسْمَاعٍ مَجَادِعُهَا قِصَارُ
أَجِيرَانَ ابْنِ مَيَّةَ خَبِّرُونِي ... أَعَيْنٌ لابْنِ مَيَّةَ أَمْ ضِمَارُ
تَجَلَّلَ خِزْيَهَا عَوْفُ بْنُ كَعْبٍ ... فَلَيْسَ لِخَلْفِهَا مِنْهُ اعْتِذَارُ
فَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا ... كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا خِمَارُ

والأبيات لها قصة مذكورة في كتب الأدب. والشاعرة فيها تذكر حق الجوار وتسرف في تأنيب جيران ابن مية لأن جوارهم لم يقه ذهاب نفسه وهلاكه فكانوا

---

(١) المفضليات، ص ٣٠٩. والنوادر، ص ٣٨٤.

(٢) ديوان الحماسة، ج ٣، ص ١٥١٤. وفي التبريزي من خبر هذه الأبيات، أن رجلا من عبدالقيس كان جارا للزبرقان بن بدر. فقتله رجل من بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، في موضع اسمه ذي شبرمان، والقاتل هزال فحلف الزبرقان ليقتلن هزالا، ثم سعت بنو سعد في القضية حتى أصلحوها، وفدى ابن مية فمكثوا هنيهه، وخطب هزال إلى الزبرقان أخته خليدة فزوجه إياها: فلما هاجاه المخبل نعى ذلك عليه وعيره بعدم الانتقام لجاره والثأر له فقال:

وأنكحت هزالا خليدة بعدما ... زعمتَ برأس العين أنك قاتله
يلاعبها فوق الفراش وجاركم ... بذي شبرمان لم تزيل مفاصله



www.mtenback.com

بذلك غير قادرين على ضرب من الوفاء يجلو عنهم عار الغدر بجارهم، ثم عمدت إلى تخصيص ما عممته من حوبة الجوار وخصت عوف بن مالك بالعار كله الذي لا يستطيع أحد كتمانه، ولا يخفى على أحد بل هو عار مكشوف أمام الناس يراه كل من له عين وإن حاول القوم إخفاءه.

وقد يأتي اللوم مباشرا دون محاولة لتخفيف وقعه على النفس، كما وصف مالك بن الريب غدر بني مروان به، وخيانتهم له، فقد هرب مالك من بني مروان وأعلن عصيانه عليهم، لكنه على الرغم مما فعل يتذمم بجوارهم، فيقول[1]:

يـا آلَ مَرْوَان جَـارِي مِنْكُمُ الحَكَمُ      لـوْ كُنْتُمْ تُنْكِرونَ الغـدْرَ قُلْتُ لَكُم

وعلى الرغم من أن بني مروان ولاة وليسوا جيرانًا كما يزعم الشاعر إلا أنه يحاول أن يكون معهم ذا علاقة توجب عليهم رعايته، وحفظ حق الجوار فيه ويرى أنهم غدروا به، ولم يرعوا فيه حقوق الجوار.

أما ابن مفرغ فإنه يجعل لجيرانه صورة يقارن فيها بينهم وبين غيرهم من أندادهم أهل الوفاء حتى يكون وقع الهجاء عليهم عنيفًا وقاسيًا إذا أظهر وفاء أندادهم أو أعدائهم فى مقابل غدرهم وضعفهم يقول فى ذلك[1]:

أَوْ كُنْتُ جَارَ بَنِي هِنْدٍ تَـدَارَكَنِي      عَوْفُ بنُ نُعمَانَ أو عمْرانُ أو مَطَرُ
قُولاَ لِطَلْحَةَ مَا أَغْنَتْ صَحِيفَتُكُمْ      وهَـلْ لِجَـارِكَ إذْ أوردْتَـهُ صَـدَرُ

ويقارن سوء اختياره لجوار قوم أخطأ في اختيارهم، وتركه آخرين خيرا منهم زاعما أنه أخطأ فى الاختيار عندما عزف عن جوار الأوفياء الأقوياء وجاور في اللئام الضعفاء، فقال[2]:

تَـرَكْتُ قُـرَيْشًـا أَنْ أُجَـاوِرَ فِيهِمُ      وجاوَرْتُ عَبْدَ القَيْسِ أَهْلَ المُشَقَّرِ
فَـأَصْبَحَ جَـارِي مِنْ جُذَيْمَـةَ نائِمًـا      وَلاَ يَمْنَـعُ الجِيْـرَانَ غَيْـرُ المُشَمِّـرِ
حَمَى[3] جَارَهُ بِشْرَ بنَ عَمْرو بْنِ مَرْثَدٍ      بِـأَلْـفِ كَمِيٍّ فِي الحَـدِيـدِ مُكَفَّـرِ

---

(١) الأغاني، ج ١٣، ص ١٣.
(٢) ديوان يزيدبن مفرغ الحميري، ص ١٢٤.
(٣) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، ص ١٣٥. فاعل حمى هو العامري بن جعفر فى بيت سبق هذا البيت لم نورده هنا.



www.mtenback.com

وذكر الرجل وأباه وجده وقارن بينه وبين جاره النائم عن حمايته وشتان في هذه المقارنة بينهما ومما يزيد وقع الهجاء في النفس وإلصاق المسبة بالمهجو، موقف التندر الذى يجعل المنشد يعرض في طرح المقارنة بينه وبين قريش من جانب أو بينه وبين بشر بن عمرو الذي أعد لحماية الجوار جيشا جرارا يدافع عن الحرمة ويأخذ بالثأر، ولم تكن صور المقارنة بين الوفاء والخيانة في حق الجار قليلة ولكن الشعراء الذين يلجأون إليها يجدون فيها متنفسًا يقبح التهاون في حق الجار ويثير الحمية والغضب فى نفوسهم وإن لم يكن من أجل الجار فيكون خوف العار كما قال طفيل الغنوي :(١)

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي لأيٍ رَسُولاً ... وبَعضُ جِوارِ أَقْوَامٍ ذَمِيمُ
فَلَوْ أَنِّي عَلِقْتُ بِحَبْلِ عَمْرٍو ... سَعىٰ وافٍ بِذِمَّتِهِ كَرِيمُ
كَأَغْلَبَ مِنْ أُسُودِ كَرَاءَ وَرْدٍ ... يَصُدُّ خَشَانَةَ الرَّجُلِ الظَّلُومُ

وقال ابن مفرغ في مقارنة أخرى :(٢)

لا تأْمَنَنَّ جُذَامِيًّا نَزَلْتَ بِهِ ... قَومٌ لَدَيْهِمْ تَنَاهَىٰ اللُّؤْمُ والضَّرَعُ
جَاوِرْبَنِي خَلَفٍ تحْمَدْ جِوارَهُم ... الأَعْظَمِيْنَ دِفَاعًا كُلَّمَا دَفَعُوا
المَانِعين مِنَ المِخْزَاةِ جَارَهُمُ ... والرَّافِعِينَ مِنَ الأَدْنَينَ مَا صَنَعُوا

وإذا انتقل البحث من التعريض والمقارنة بين الوفاء والغدر وبين القوة والضعف وبين مقارنة حقوق الجار المحفوظة عند أناس وحقه المضيع عند آخرين كما جاء في الشعر، ومن ذلك قول امرىء القيس :(٣)

وَلَا فعلُوا فِعْلَ العُوَيْرِ بِجارِه ... لَدىٰ بابِ هِنْدٍ إِذْ تَجرِدَ قَائِمَا

وقال أيضًا :(٤)

أَلَا إِنَّ قَوْمًا كُنتم أَمْسِ دُونَهُمْ ... هُمُ استَنْقَذُوا جاراتِكُمْ آلَ غُدْرَانِ

---

(١) ديوان طفيل الغنوي، ص ١١٥
(٢) ديوان يزيد بن مفرغ الحميرى، ص ١٤٧.
(٣) ديوان امرئ القيس، ص ٢٠٥.
(٤) ديوان امرئ القيس، ص ٢١٣.



www.mtenback.com

وقوله أيضًا:[٥]

فَقَدْ أَصْبَحُوا واللَّهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ ... أَبَـرَّ بِمِيثَـاقٍ وَأَوْفَىٰ بِـجِيْـرَانِ

فإن الأمر سيفضي إلى المعنى المجرد أو الانطباع الذاتي الذي يتركه أثر الجوار في النفس على شاكلة قول ابن قيس الرقيات:[٢]

بُـدِّلـتُ بَـعْـدَ بَـنِـي رَبِـيْـ ... ـعَـةَ والـزَّمَـانُ مُـعَـاقِـبْ
جِـيْـرَانُ سَـوْءٍ بَـيْـنَـهُـمْ ... شَـطْـرَ الـزمَّـانِ عَـقَـارِبْ

أو قول الراعى النميرى وقد جاور فى بني سعد فلم يحمد جوارهم وخشي على إبله منهم الأمر الـذي جعله يسرع الـرحلة وينتقل عن أرضهم مصـورا محاولتهم هتك حرمةِ الجوار سرا وأخذ ماله ونهب إبله، فقال:[٣]

أَرَى إبِلِي تَكَـالأَ رَاعِيَـاهَـا ... مَخَافَةَ جَارِهَا طِبَقَ النُّجُومِ
وَقَـدْ جَاوَرْتُهم فَـرَأَيْتُ سَعْدًا ... شَعَاعَ الأَمْرِ عَازِبَةَ الحُلُومِ
فَأُمِّي أَرْضَ قَوْمِكِ إنَّ سَعْدًا ... تَحَمَّلَتِ المَخَازِي عَنْ تَمِيْمِ

ولم تكن بنو سعد أهل مخازٍ كما وصفها الشاعر، ولكنها كانت من لهازم تميم وأهل القوة والبأس فيهم مع ما لتميم من سطوة في ذلك العهد ولكن الشاعر يعنيه جانب واحد وهو ما علق في نفسه منهم وما عليه بعد ذلك أن يكون صادقًا أو كاذبًا يهجو الأوقياء أو الضعفاء، يقول الحق أو يمارس الباطل، فالذي يهمه في الشعر أن يذكر رأيه مقرونًا بعلاقته مع من أساء جواره.

كما وصف عمر بن لجأ التيمى بنى يربوع قوم جرير بـاللؤم وكان السبب ملاحاته لشاعر يربـوع، وهذا أهـون الهجاء وأضعفـه لأن أسبابـه معروفـة، ومناسباته تتكرر، يقول عمر:[٤]

---

(١) ديوان امرئ القيس، ص ٢١٤.
(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٤٩.
(٣) ديوان الراعي النميري، ص ٢٥٢.
(٤) شعر عمر بن لجأ التيمى، ص ١١٢.



www.mtenback.com

وَتَحْبِسُ يَرْبُوعُ عن الجَارِ نَفْعَهَا وَلَيْسَ لِيرْبُوعٍ عَنِ الشَّرِّ حَابِسُ

إلا أنه قد يكون لدى الشاعر مبررات للهجاء يقدمها أمام شعره حتى يعذره اللائمون ويكون لضربته وقع عندما يصدقه السامعون فيصاب من يهجوهم بالإحباط فلا يستطيعون الدفاع أمام ضرباته القاضية ولسانه السليط على نحو ما فعل الشاعر الآنف ذكره:[1]

أَتَشْتُمُ أَقْوَامًا أَجَارُوا نِسَاءَكُمْ وَأَنْتَ ابن يَرْبُوعٍ عَلَىٰ الضَّيْمِ وَارِكُ
فَكَيْفَ يَسُبُّ التَّيْمَ من قَدْ أَجَارَهُ فَوَارِسُ تَيْمٍ والرِّمَاحُ الشَّوابِكُ

وقد يأتي قول الشاعر وكأنه مدفوع إلى الشتم أو السباب بقوة الخوف والجبن التى تمثلت فى جيرانه وأوقفتهم عن نصره والدفاع عنه فيصور ذلك على نحو قوله:[2]

دَعَوتُ سِنَانًا وابنَ عَوْفٍ وحَارِثًا وَعَالَيْتُ دَعْوَىٰ بالحُصَين وهَاشِمِ
حَلِيفُهمُ الأَدْنَى وَجَارُ بُيُوتِهِمْ بِتَرْكِ أسِيرٍ عِنْدَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ

ويبرز لوم الشاعر وتشتد لغة الذم في شعره فيقوى عامل الانتقام فى نفسه، ويندفع فى شعر مؤثر قوي الدلالة على تحقيق العدوان الذي لا يتصور الشاعر أنه مقدم عليه حتى يدخل فى معمعة الهجاء ويأخذ في سبيل الذم فيقع لسانه في تصوير قبيح للغدر ويجسم صورة الضياع الذى يتعرض له جار الذليل حتى كأنه لحم على وضم، لا يدفع عنه قادر ولا يمتنع هو بقوته لأنه أسلم قياد الدفاع عن نفسه لذمة المجير فأخفق فى تأمين الحماية الكافية له تحت هذا التأثير جاءت أبيات عتيبة حين هجاء جيرانه وصور ضياعه وضياع قومه في جوارهم وبعدهم عن الحفاظ على الجوار أو احترام علاقة المجير، فيقول في ذلك:[3]

إِذَا مَا لَقِيتَ الحَيَّ سَعْدَ بَنَ مَالِكٍ على زَمٍّ فَانْزِلْ خَائِفًا أَوْ تَقَدَّمِ

(١) شعر عمر بن لجأ التيمى، ص ١١٦
(٢) أسواق العرب، ص ٢٦٧.
(٣) الأغاني، جـ ٢٢، ص ٢٢٣.



www.mtenback.com

أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ        شَعَاعًا كَلحْمِ الجَازِرِ الْمُتَقَسَّمِ

وقد قسا عليهم فى هجائه حتى تناول أعراض نسائهم بصورة قبيحة، وهجاء مرذول مسف بعيد عن الواقع وما دفعه إلا مرارة التهاون في حق الجار وشعوره بالضياع في جوارهم وتعرضه للإهانة في كنفهم، فكان لسانه سلاحًا للانتقام القاسي في حق هؤلاء القوم، فأعمله عندما رفع جيرانه سلاح حمايتهم عنه ولم ينهضوا لنصره فاشتد عليهم كل الشدة وقسا فى لسانه كل القسوة وذهب في هجائه لهم مذهبًا ممقوتًا فى أبيات لم ترد في البحث لتعرضها لما لا يجب إيراده ولطعنها في أمر لا يقره عليه أحد.

أما بشر بن أبي خَازم فقد هجا غدر الجيران مثل غيره من الذين استمرأوا الهجاء وانهمكوا فيه وإن كان فى هجائه للجيران غير مسرف، يقول في عتبة بن مالك بن جعفر عندما لم يثأر لجاره من بني أسد قوم بشر أبياتًا يشتم فيها عتبة ويذكر ضياع دم جاره وخيبة مجيره، فيقول:[1]

فَمَنْ يَكُ مِنْ جَار ابْنِ ضَبَّاء ساخِرًا        فَقَدْ كانَ في جَارِ ابْنِ ضَبَّاء مَسْخَرُ
أَجَارَ فَلَمْ يمْنَعْ من الضَّيْمِ جَارَهُ        ولا هُوَ إذْ خَافَ الضَّيَاعَ مُسَيَّرُ

ولم يبعد حتى عاد مرة أخرى يهجو الضعيف ويصف جار الثبور الذي لا يمنع جواره بل يهلك من تعلق به من الخائفين، فيقول:[2]

دعَا مُعْتِبًا جَارَ الثُّبُورِ وَغَرَّهُ        أَجَمُّ خَدُوْرٌ يَتبعُ الضَّأْنَ جَيْدَرُ[3]
دَعَا دعْوَةً دُودَانَ وَهْوَ بِبَلْدَةٍ        قَلِيْلٌ بِهَا المعَرُوفُ بَلْ هُوَ مُنْكَرُ

فقد وصف دعوة ابن ضباء التي لم تستجب من جاره وصفًا ماحقًا للمعروف وجعله وقومه لا يجيرون ولا يرعون حرمة الجار الضعيف بينهم وفي ديارهم، ولا يجد طالب المعروف مكانًا عندهم.

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٨٥.
(٢) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٨٧.
(٣) جيدر: قصير محتقر.



www.mtenback.com

وفي مرارة هجائه رسم صورة لجسد الجار القتيل وهو ملقى على الأرض عاريا أمام الحي تطؤه النساء جيئة وذهابًا محاولا بذلك استفزاز المجير وتحريك نخوته ومروءته حتى يثأر لجاره وينتقم له ويصور هذا الذل الذي أصابه بأنه حباء من مولاه تهكما به وسخرية منه وكأن خفر جواره حباء له من قومه، ثم يعم بني جعفر كلها بالعار الذى لبسته بتركها جارها قتيلا، فيقول :(١)

تَـظَلُّ مَقَـاليتُ(٢) النِّسَـاءِ يَـطَأْنَـهُ     يَقُلْنَ أَلَا يُلْقَىٰ عَلَىٰ المَـرْءِ مِئْـزَرُ
حَبَاكَ بِهَا مَوْلَاكَ عَنْ ظَهْرِ بَغْضَةٍ     وقَلَّدَهَـا طَوْقَ الحَمَـامَـةِ جَعْفَـرُ

ومن شعر ابن أبي خازم في ذم الجيران الجبناء المتساهلين في حقوق الجار يأتي قوله :(٣)

ذُنَـابَىٰ لا يَفُـوْنَ بعَهْـدِ جَـارٍ     وَلَيْسُـوا يَنْعَشُـونَ لَهُمْ فَقِيْـرًا

ويقارن بين جار الضعيف الذي لا يحميه وجار القوي المانع له حتى يكون في هجائه قسوة الندية ومقارنة الوفاء بالخيانة والقوة بالضعف والشجاعة بـالجبن فيتألم المهجو أشد الألم عندما يذكر الهجّاءُ ممدوحًا آخر وقد يكون هذا الممدوح ندا له أو عدوًا، فيقول الشاعر مادحًا الأوفياء معيرًا ومعرضًا بالضعفاء الذين عناهم في شعره مبينا ضعفهم :(٢)

فَمَـا صُـدَعٌ بِحيَّـةَ أو بِشَـوْطٍ     عَلَىٰ زلَقٍ زَوَالِقِ ذِي كِهَـافِ
بِأَحْرَزَ مَـوئِلًا مِنْ جَـارِ أَوْسٍ     إِذَا مَا ضِيْمَ جِيْرَانُ الضِّعَـافِ

إن البيتين لم يكونا مدحا لأوس وحسب كما يظهر منهما، بل مدحا له وهجاء للضعاف الذين عرض بهم ذاكرًا مدح أوس ليبين الفارق بين الحالين ويظهر الضدين وهو أسلوب في الشعر العربي مكرر عند الشعراء. والشعر في هجاء الجار يأتي من مرارة الخذلان وقهر القوة التي يتعرض لها المستجير فلا يجد من جاره عونا يخفف عنه هوان الضعف ووحشة الغربة.

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٨٨.
(٢) مقاليت النساء : المرأة التى لا يعيش لها ولد. وتزعم العرب أنها إذا وطئت جسد القتيل عاش ابنها.
(٣) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٩٠.
(٤) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١٤٩.



www.mtenback.com

وقد تعرض امرؤ القيس لخذلان بني نبهان فهجاهم هجاء مرا لهذا الخذلان وعيرهم بأبيات يقول فيها :[1]

دَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ في حَجَراتِهِ ولَكِنْ حَدِيْثًا ما حَدِيْثُ الرَّوَاحِلِ
كَأَنَّ بَنِى نَبْهَانَ أَلْوَتْ بِجَارِهِمْ عُقَابُ تَنُوفَىٰ لَا عُقَابَ القَواعِلِ
تَلَعَّبَ بَاعِثٌ بِذِمَّةِ خَالِدٍ وأَوْدَىٰ عِصَامٌ في الخُطُوبِ الأَوَائِلِ
وَأَعْجَبَنِي مَشْيَ الحُزُقَّةِ خَالِدٍ كَمَشْيِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ في المَنَاهِلِ

وقد ذكر هوان جاره وذلته وضعفه عن حمايته وقارن ذلك بمن أجاره فوفى بجواره فأعقب الذم المؤلم للجار الضعيف بالمدح والثناء العطر للجار القوي فقال في القصيدة نفسها :[2]

أَبَتْ أَجَأٌ أَنْ تُسْلِمَ العَامَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لهَا مِن مُقَاتِلِ

وقد مرت بقية الأبيات في مكان آخر من هذا البحث، ويمثل بشر بن أبي خازم الجوار الضعيف بالحبل الضعيف الذي لا يعتمد عليه ويصف عقد من هجاهم بأنه غرور وضياع، فيقول :[3]

إِذَا عَقَدُوا لِجَارٍ أَخْفَرُوهُ كَمَا غَرَّ الرِّشَاءُ من الذُّنُوب

ولا ينقطع الحديث عن مقارنة الجار الذي لا يحمي جاره بذاك الذي لا يقع جاره تحت ضيم. ومن هذا اللون من الهجاء قول عنترة :[4]

وَلَا تُجَاوِرْ لِئَامًا ذَلَّ جَارُهُمُ وَخَلِّهِمْ في عِرَاصِ الدَّارِ وَارْتَحِلِ
لَا يَشْرَبُ الخَمْرَ إِلَّا مَنْ لَهُ ذِمَمٌ وَلَا يَبِيْتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلِ

ويزيد الهجاء في الشعر عندما يذكر الشاعر عهد الجوار وعقد الذمة

---

(١) ديوان امرئ القيس، ص ٤٠١.
(٢) ديوان امرئ، ص ٤٠١.
(٣) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٢١.
(٤) ديوان عنترة، ص ١٣٢.



www.mtenback.com

للمستجير ثم لا يكون ذلك كافيا لحمايته وقد يصرح الشاعر إذا خان الجار جاره واستحل دمه يقول أبو فراس الهذلي :[1]

إذا أَجَارُوا عَوَى في بَيتِ جارِهِمُ إِمَّـا جِـرابٌ وإِمَّـا مُثْلَـةٌ[2] قُـتِلُـوا

كَمْ مِنْ عَقِيدٍ وَجَارٍ حَلَّ عِنْدَهُمُ وَمِنْ مُجَارٍ بعَهْـدِ اللهِ قَـدْ قَـتَلُـوا

ومن الهوان أن يحتاج الكريم إلى أن يستجير الضعيف الذي لا ينهض بواجب الجوار ولا يكون أهلا له فيشعر المستجير بالمرارة والحزن الشديدين فيهجو جاره كما فعل امرؤ القيس إذ جاور بني شمجى فلم يحمد جوارهم، فقال :[3]

أَبَعْدَ الحَارِثِ المَلِكِ ابنِ عَمْرٍو لَـهُ مُلْكُ العِـرَاقِ إلى عُمَـانِ

مُجَـاوِرَةً بَنِي شَمَجَى بنَ جَـرْمٍ هَـوَانًـا مَـا أُتِيحَ مِن الهَـوَانِ

ويكون من أنواع الهجاء استنهاض الجار وإخباره بحق المستجير عليه وتذكيره بشكل فيه طعم الذم دون التصريح به كما يقول طفيل الغنوي لجيرانه بني لأي :[4]

أَلَا أَبْـلِغْ بَنِـى لأى رَسُـولاً وَبعْضُ جِـوَارِ أَقْـوامٍ ذَمِيمُ

وينهج زهير النهج نفسه فى تذكيره بني الصيداء، فيقول :(٢٤٧)

فَـأَبْلِغْ إِنْ عَـرَضْتَ بِـهِ رَسُولاً بَنِي الصَّيْـدَاءِ إِنْ نَفَـعَ الجِـوارُ

أما أشد الهجاء في لغة الشعر فهو ما أسميه التقريع حيث يتوجه الهجاء إلى المهجو من جيرانه فيأخذ بتلابيبه ويوبخه أشد التوبيخ ويقرر أخطاءه ثم يعددها أمامه بخطاب مباشر عنيف لا يتورع فيه الشاعر عن محاولة انتزاع الاعتراف من

---

(١) ديوان الهذليين، جـ ٢، ص ١٦٨.
(٢) مثلة : التنكيل والعذاب.
(٣) ديوان امرئ القيس، ص ١٤٣.
(٤) ديوان طفيل الغنوي، ص ١١٥.
(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٣٠٥.



www.mtenback.com

الجار بالذنب والخطيئة والشعور بالتقصير أمام جاره، يقول الحطيئة مخاطبا جاره الزبرقان خطابا مباشر صريحا :[1]

هَـلاَّ غَضِبْتَ لِرَحْـلِ جَـا رِكَ إذْ تُـنَبِّـذُهُ حَـضَـاجِـرْ

ويقول في بيت آخر :[2]

قَـرَوْا جَارَكَ العَيْمَـانَ لَمَّا تَـرَكْتَـهُ وقَلَّصَ عنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَـافِرُهُ

ويبدو أن طبيعة الهجاء التي اتصف بها الحطيئة ولؤمه دفعاه إلى اسلوب الهجاء التقريري، والتقريع الصريح بلوم من يقصر في جواره هو خاصة، وكأنه بهجائه لا يذم، بل يحاول أن يسد منافذ حجج الخصم ويخرسه عن كل كلمة ويسكته في كل عذر ويلصق به تهمة التقصير، فيقول في أبيات أخرى :[3]

أَلَمْ أَكُ جَـارَكُمْ فَتَـرَكْتُمُـونِي لِـكَلْبِي فِي دِيَـارِكُمْ عُـوَاءُ
فَلَمَّـا كُنْتُ جَـارَكُمْ أَبَيْتُمْ وَشَرُّ مَـوَاطِنِ الحَسَبِ الإِبَـاءُ
وَلَمَّـا كُنْتُ جَـارَهُمْ حَبَـوْنِي وفِيكُمْ كَـانَ - لَوْ شِئْتُمْ حِبَـاءُ

ومثل هذه الأبيات أبياته التالية في موضوع هجاء الجار وهو يحاور باللغة التي اعتمد الحطيئة على تأثيرها في نفوسِ السامعين فيعود للهجاء والمدح، فيقول :[4]

يُعْطِى الظُّلاَمَةَ في الخُطُوبِ الحُوَّسِ بِالهَمْزِ مِنْ طُـولِ الثِّقَافِ وَجَارُهُمْ
قَبَـحَ الإِلَـهُ قَبِيلَةً لَـمْ يَمْنَـعُوا يَـوْمَ المُجَيْمِـرِ جَـارَهُمْ مِنْ فَقْعَسِ

وقوله أيضا محتجا لبغيض معذرا له هاجيا الزبرقان مسيئا إليه :[5]

مَا كَانَ ذَنْبُ بغيْضٍ أَنْ رَأَى رَجُلاً ذَا فَاقَةٍ عَاشَ في مُسْتوعِرٍ شَاسِ

(١) ديوان الحطيئة، ص ١٨٦.
(٢) ديوان الحطيئة، ص ١٨٤.
(٣) ديوان الحطيئة، ص ٩٨.
(٤) ديوان الحطيئة، ص ١٠٣.
(٥) ديوان الحطيئة، ص ٢٧٣.



www.mtenback.com

جَارًا لقَوْمٍ أَطَالُوا هَونَ مَنْزِلِهِ وغَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ

ويقول بشر بن أبي خازم مخاطبا المهجو موجها اللوم إليه :(١)

غَدَرْتَ بِجَارِ بَيْتِكَ يا بْنَ لَامٍ وَكُنْتَ بِمِثْلِ فَعْلَتِهَا جَدِيرًا

ويدفع الأعشى الفضل عن جاره ويحرم عليه ذكر نفسه بالخير وهو ضعيف الجار فيقول فيه :(٢)

أَتَزْعُمُ لِلأَكْفَاءِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَتَخْتَالُ إِذْ جَارُ ابنِ عَمِّكَ مُرْهَقُ
وَلَا بُدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيرُ سَبِيْلَهَا كَمَا جَوَّزَ الشَّكِّيّ في البَابِ فَيْتَقُ

وفى رأي لبيد العامرى قد يغر الناس الجار فيحسبهم أناسا فينخدع بهم ويطمئن إلى جوارهم الذي لا يقيه مكروها حتى يهلك وهم عنه غافلون، يقول :(٣)

يَا قَومُ هَلْ أَحْسَسْتُمُ جِسَّاسَا جَاوَرَكُمْ يَحْسِبُكُمْ أُنَاسَا

أما طرفة فيخاطب عمرو بن هند متسائلا عن معشر أماتوا جارهم فيقول :(٤)

أَعَمْرَو بنَ هِنْدٍ مَا تَرَى رَأْيَ مَعْشَرٍ أَمَاتُوا أَبَا حَسَّانَ جَارًا مُجَاوِرا

وهو تعريض واضح في حال عمرو بن هند وكأن الشاعر يقرعه بأمر الجار كتقريعه لهؤلاء المعشر الذين أشار إليهم في شعره وكذلك يقول حذيفة بن أنس الهذلي :(٥)

أَلَمْ تَقْتُلُوا الحِرْجَين إذْ أَعْوَرَا لَكُمْ يُمِرَّانِ في الأَيْدِي اللِّحَاء المضفَّرَا
وَأَرْبَدَ يَوْم الجِزْعِ لمَّا أَتَاكُمُ وجَارُكُمُ لَمْ تُنْذِرُوهُ لِيحْذَرَا

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٩١.
(٢) ديوان الأعشى، ص ٢٧١.
(٣) ديوان لبيد، ص ٣٣٧.
(٤) ديوان طرفة بن العبد، ص ١٥٥.
(٥) ديوان الهذليين، جـ٣، ص ١٩.



www.mtenback.com

ويقول بشر بن عليق الطائي :[1]

وَمَا تَمنعُون الجَـارَ مِنْكُمْ بذمَّـةٍ تَحُـوطُ ولاَ تُـوفِي دِمَـاؤُكم دَمَـا

ويقول مثل هذا القول أبو ذؤيب الهذلي :[2]

فَمَا لَكَ جِيرَانٌ وَمَا لَـكَ نَاصِرٌ وَلاَ لُـطَفٌ يَبْكِي عَلَيْكَ نَصِيحُ

ويعود التقريع على لسانامرئ القيس لبني دارم ويبلغ بهم شأواً بعيـدا في اللوم الموجع واصفا الروابط التي تربطهم بالجار وكأنه ابن من أبنـائهم وسط بيوتهم وهو جار لهم مجاور في حيهم وقد فشلت كل تلك الصلات أن تحميه وتحفظه من العدوان، فيقول :[3]

أَلَيْسَ ابْنكُم أَمْ لَيْسَ وَسْطَ بيُـوتِكُم بَنِي دَارِمٍ أَمْ لَـيْسَ جَـارًا مُجاوِرا

ومثل ذلك قوله :[4]

أَلاَ إِنَّ قَـومًـا كُنْتُمُ أَمْسَ دُونَهُم هُـمُ مَنَعُوا جَارَاتِكُم آل غُـدْرانِ
فَقَدْ أَصْبَحُوا واللَّهُ أَصْفَـاهُمُ بِهِ أَبَـرَّ بِمِيثَـاقٍ وَأَوْفَى بِـجِيـرَانِ

ومن نماذج الهجاء للجار والحديث عن خذلانه ما جاء في شعـر البرج بن مسهر الطائي من تهكم بجيرانه وذم بما يشبه المدح وكله مملوء سخريـةوتهكما قبيحًا حيث يبدأ بقوله :[5]

فَنِعْمَ الحَيُّ كَلْبٌ غَيْـرُ أَنَّـا رَأَيْنَـا في جِـوَارِهِم هَنَـاتِ
وَنِعْمَ الحَيُّ كَـلْبٌ غَيْـرَ أَنَّـا رُزِيْنَـا مِنْ بَنِينَ وَمَنْ بَـنَـاتِ
فَإِنَّ الغَدْر قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِيمًا بَيْنَ خَبْت إِلى المَسَاتِ
تَـرَكْنَا قَـوْمَنَا مِنْ حَـرْبٍ عَامٍ أَلاَ يَـا قَـوْمِ لـلأَمْـرِ الشَّتَـاتِ

---

(١) قصائد جاهلية نادرة، ص ١٨٨.
(٢) ديوان الهذليين، جـ ١، ص ١١٦.
(٣) ديوان امرئ القيس، ص ٤٥٣.
(٤) ديوان امرئ القيس، ص ٨٣.
(٥) ديوان الحماسة، جـ ١، ص ٣٥٩.



www.mtenback.com

وأَخْرَجْنَا الأَيَـامَى مِنْ حُصُونٍ بِهَـا دَارُ الإِقَـامَـةِ وَالثَّبَـاتِ
فَإِنْ نَرْجِعْ إلى الجَبَلَيْنِ يَوْمًـا نُصَالِحْ قَـوْمَنا حَتَّى المَمَـاتِ

فقد بدأ بالتهكم بجيرانه وكأنه يثني عليهم ثم وصمهم بأقبح الأوصاف، فجعل القبح في أخلاق جيرانه الذين عرفوا ضعفه وضعف قومه وحاجتهم إلى الحماية والأمن فأخافوهم وأذلوهم ونالوا منهم كل منال وقد أصبحت أرض جيرانه مقاما للغدر ومرتعا للخيانة مما جعل قسوة الحرب مع قبيلته وقراع أنداده من أبناء عمه أهون عليه من جوار هؤلاء الجيران الذين لا يأمن الجار لهم جانبا ولا تتقى بهم ذمة.

وقد تذمر أبو الطمحان القيني من غدر الجيران وقلة وفائهم وهو أمر يؤكد أن فخر العرب في حماية الجار يقابله غدر فيه وإلا لما كان للفخر معنى لو كان العرب كلهم يفون للجوار ويرعون الحرم، يقول أبو الطمحان[1]:

أَجَدُّ بَنِي الشَّرْقِيِّ أُولِـعَ أَنَّنِي مَتَى أَسْتَجِرْ جَارًا وَإِنْ عَزَّ يَغْدِرِ
إِذَا قُلْتُ أَوْفَىٰ أَدْرَكَتْـهُ دَرُوكَـةٌ فَيَا مُوزِعَ الجِيرَانِ بِالغِيِّ أَقْصِرِ

**الهجاء بخذلان الجار:**

ما دام إكرام الجار والمحافظة على حقه وحمايته خلقا كريما، وعرفا يحافظ عليه العربي، ولا يتهاون بشيء منه، فإن ما يمس هذه المحافظة من هوان أو ما يصيبها من خدش سيبقى سبة الدهر على الحي الذي يهان جواره، أو تعتدي الأيدي على حرمته، وقد عرض البحث ما حفل به الشعر العربي القديم، ودواوين الشعراء مستشهدا بالنصوص التي تذكر عزة الجار، والفخر بحمايته، والمبالغة فيها، وقد عرضت الأمثلة والنماذج الكافية من هذا النوع، وفي المقابل لابد من ذكر ما قد يحدث من خرق لحرمة الجوار والاعتداء على الجار حتى تتضح كيفية رد الفعل وأثر هذا العدوان. وقد ذكر في الفصل السابق شيء من ذلك وهنا في هذا الفصل سيكون في مهاجاة جرير للفرزدق بعض ما أريد الاستشهاد به،

(١) قصائد جاهلية نادرة، ص ٢١٩.



www.mtenback.com

وهو يكفي عن الأمثلة الأخرى لدى بقية الشعراء. فالغرض من البحث هو طرق المثال وعرض الشاهد عند الحاجة، وليس القصد منه الاستقصاء أو الإحاطة.

وقد أخذت الدراسة جريرا شاعرا واحدا وجعلته مثالا يكفي عن بقية الشعراء ونظرتهم إلى خذلان الجار وما يوصف به الخاذل من لؤم وغدر وخيانة، ففي هجائه للفرزدق جعل قضية الزبير بن العوام رضي الله عنه، وقتل ابن جرموز له منطلقا ينطلق منه لهجاء خصمه وهجاء قوم الخصم لخذلانهم الزبير وضياع دمه فيفضحهم عند القبائل ويبين العار الأبدي الذي لحق بهم نتيجة تفريطهم في حق الجوار، وجبنهم أمام الواقع الذي فرضه عليهم أبناء عمهم بنو سعد عندما أهانوا جوارهم وتجرأوا على قتل الزبير وقد احتمى بذمامهم. وتلك قصة معروفة في تاريخ الأدب، وفي التاريخ العام والسير. ملخصها: أن الزبير بن العوام لجأ إلى مجاشع وأجاره النعر بن الزمام[1]، ولكن ابن جرموز قتله في وادي السباع على الرغم من جوار النعر له وقد أصبح قتل الزبير قصة يتندر بها جرير على الفرزدق وقومه، ويجعل التفريط بالجار عار الأبد إذ لم تنتقم مجاشع من قاتل جارها، ولم تحمه حتى من أبنائها عندما ذهب بجوارهم. كما أن غدر المجاشعي وقتله الجار صار سبة يعير بها بني مجاشع. فيعيرهم أحيانا بأن ابن جرموز قتل جارهم فلم يثأروا له، ويعيرهم أحيانا بأنهم يغدرون بالجار ويقتلونه جاعلا القاتل غادرا بكونه مجاشعيا ثم يقارن هذا الغدر بالوفاء الذي تعرفه العرب للجار، وقد نال مجاشعا وشاعرها من قتل الزبير الحرج الشديد الذي ملأ جرير به صحائف الشعر مرددا الغدر الذي حدث منهم وهم لا يستطيعون إنكاره، ولا الدفاع عن أنفسهم، أمام صدق الواقع، كما في هذه الأبيات المختارة من شعر جرير خاصة، إذ أخذ يتلاعب بموضوع واحد وحادثة مخصوصة هي قتل الزبير بن العوام وهو جار لمجاشع فيصبح هجاؤه لخصمه الفرزدق ميدان ذلك التلاعب، وكرر موضوع خذل الجوار حتى جمع فيه ما يزيد على مائة بيت من الشعر نورد بعضا منها مثل قوله[2]:

(١) سير اعلام النبلاء للذهبي، ج ١، ص ٦٠، وعن الأبيات انظر ديوان جرير ص ١٠٩.
(٢) ديوان جرير، ٤٤.



www.mtenback.com

قَـالَتْ قُرَيْشٌ وَقَـدْ أَبْلَيْتُمْ خَورًا ... لَيْسَتْ لَكُم يَا بَني رِغْوَانَ أَلْبَـابُ
هَلاَّ مَنَعْتُمْ مِن السَّعْدِيِّ جَارَكُمْ ... بِالعِرْقِ يَوْمَ التَقَى بازٌ وأَخْـرَابُ

وقوله[١] :

يَقُولُ ذوو الحكُومَـةِ من قُرَيْشٍ ... أتفْخَرُ بَعْـدَ جَـارِكُم المُصَـابِ
غَـدرْتَ وَمَـا وَفَيْتَ وَفَـاءَ حُـرٍّ ... فَـأَوْرَثْتَ الـوفـاءَ بَني جَنَـابِ

ويقول في مكان آخر من ديوانه[٢٦٧] :

أَجِيْـرَانَ الـزُّبَيْـرِ بَـرِئْتُ مِنْكُم ... فَـأَلقُوا السَّيْفَ واتَّخِـذُوا العِيَابِـا

ويقول أيضا[٣] :

فَبُعْـدًا لِقَوْمٍ أَجَـارُوا الـزُّبَيْـرَ ... وَأَمَّـا الـزُّبَيْـرُ فَـلاَ يَبْعُـدِ

ويشمت بهم الشماتة كلها، فيقول[٤] :

إِذَا طَرِبَ الحَمَامُ حَمَـامُ نَجْدٍ ... نَعَى جَارَ الأَقَـارِعِ وَالحُتَـاتِ
تَضَمَّنَ مـا أَضعْتَ بنو قُـرَيْعٍ ... لِجَارِكَ أَن يَمُوتَ مِنَ الخُفَاتِ

ويذكر فضل أقوام آخرين مقرونا بغدر بني مجاشع ويسرف في المقارنة ويجعل حظهم منقوصا أمام الناس الذين يسمعون الحالين، وينظرون في القولين، فيعلن فوز من يريد لهم الفوز في مقابل فشل أعدائه بني مجاشع، فيقول[٥] :

فَـأَصْبَحَ جَـارُهُمْ حَيًّا عَـزِيْـزًا ... وَجَارُ مُجَاشِـعٍ أَضْحَى رَمَادا
وَلَو عَاقَـدْتَ خَيْلَ أَبي سَعِيـدٍ ... لَذَبَّ الخَيْلَ مِا حَمَلَ البِجَادا
فَلَيتَـكَ في شَنُوءَةَ جَـارُ عَمْرٍو ... وَجَـاوَرْتَ اليَحامِـدَ أو هِـدَادَا

(١) ديوان جرير، ٤٧.
(٢) ديوان جرير، ٦٠.
(٣) ديوان جرير، ١٠٤.
(٤) ديوان جرير، ٦٩.
(٥) ديوان جرير، ١١٢.



www.mtenback.com

وجـدْنَا الأزدَ أكْـرمَكُم جِـوَارًا		وَأوْرَاكُم إذَا قَـدَحُـوا زِنَـادا
وَجَـارًا من سُلَيْمَة كـان أوْفَى		وَأرْفَـعُ من قُيُـونِكم عِمَـادا

وقد أصبحت فكرة خذلان بني مجاشع للزبير محورا لا يتركه الخصم حتى يعود إليه ينقله من حال إلى آخر ويجوز فيه بعض التحوير ولكنه لا يتجاوز المعنى بعيدا عنه، ولا يذهب منه مذهبا ينسى فيه اللوم ولو إلى حين، ويكرر أنهم غروه ولولا جوارهم لنجا من الموت كما في هذا البيت(٣) :

أَجِيْـرَان الـزُّبَيْـرِ غَـرَرتُمُـوه		كَـأَنَّكُمُ الـدَّلَادِلُ والـقُهُـوُد

ويقول أيضا(١) :

غَرُّوا بِحَبْلِهِمُ الزُّبَيْرَ فَلَمْ يَجِدْ		عند الجِوَارِ بِحَبْلِكَ اسْتِمْـرَارَا
مَنْ كَـانَ أثْبَتَ بالثغُورِ مَنَازِلاً		وَمَنِ الأَعَـزُّ إذَا أَجَارَ جِـوَارا
كَيْفَ الفَخَارُ وَمَا وَفَيْت بِـذِمَّةٍ		يَوْمَ الزُّبيْـرِ وَلَا حَمَيْت ذِمَارا

وإذا نافح عن قيس وهي القبيلة التي كان يهجوها الفرزدق، جعل ذكر وفائهم للجار مقرونا بذكر غدر مجاشع به كما في قوله(٢) :

وقَيْسٌ يـا فـرزْدَقُ لَـوْ أَجـارُوا		بني العَوَّامِ ما افْتَضَحَ الجِوَارُ
غَـدَرْتُم بِـالزُّبيرِ وَمَـا وَفَيتُمْ		فَـدَادِيْنـاً يَبِيتُ لَهَـا خُـوَارُ

ومثله قوله(٣) :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا حِينَ خَـارَتْ مُجَاشِعٌ		تُجِيْـرُ وَلاَ تَلْقَى قَبِيْـلاً يُجِيـرُهَـا
بِـأَنَّـهُـمُ لا مَـحْـرَمٌ يَـتَّـقُـونَـهُ		وَأَلاَّ يَفِي يَـوْمًـا لِجَـارٍ مُجِيرُهَـا
وَلاَ يَعصِمُ الجِيرانَ عَقْدُ مُجَاشِعٍ		إذَا الحَرْبُ لَم يرْجِعِ بِصُلْحٍ سَفِيرُهَا

---

(١) ديوان جرير، ١١٢.
(٢) ديوان جرير، ١٧٥.
(٣) ديوان جرير، ١٨٣.
(٤) ديوان جرير، ٢٠٧.



www.mtenback.com

ويقـول[1] :

فَمَا كَانَ جِيرانُ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعٌ ... بِأَلْأَمَ من جِيْرَانِ وَهْبٍ وَأَغْدَرَا
وَقَالَتْ قُرَيْشٌ للحَوَارِيِّ جَارِكُمْ ... أَرِغْوانَ تدعُو لِلجِوَارِ وَضَـوْطَرَا
وَلَو ضَاف أَحْيَاءً بِحَزْنِ مُلَيْحَـةٍ ... لَلَاقَى جِوَارًا صَافِيًا غيْـرَ أَكْدَرَا

ويقول في المعنى نفسه[2] :

لَعَمْرُكَ مَا تُنْسَى فَتَـاةُ مُجَاشِـعٍ ... وَلَا ذِمَّـةٌ غَرَّ الـزُّبَيْـرَ غُـرُورُهَـا
ولَـوْ كُنْتَ مِنَّا مـا تَقَسَّمَ جَارَكُم ... سِبَاعٌ وَطَيْرٌ لَمْ تَجِدْ من يُطِيرُهَا
وَلَوَ نَحْنُ عَاقَـدْنَا الـزُّبَيرَ لَقِيْتَـهُ ... مَكَـانَ أَنُوقٍ مَـا تُنَالُ وُكُـورُهَـا

ومثله أيضا هذه الأبيات[3] :

لَعَمْرِي لَنِعْمَ المُسْتَجَارُونَ نَهْشَلٌ ... وَحَيُّ القِـرَى للطَّارِقِ المُتَنَـوِّرِ
وَلَو في رِيَاحٍ حَلَّ جَارُ مُجَاشِعٍ ... لَمَـا بَاتَ رَهْنًـا لِلْقَلِيْبِ المغَـوَّرِ
وَمَاغَرَّهُم مِن جَارِهِم عُقدِ المُنَى ... وَلَا عَقْـدَ إِلَّا عَقْـدُ جَـارٍ مُشَمِّـرِ

ويقـول[4] :

أَبَعْـدَ بَنِي بَـدْرٍ وأَسْلَابِ جَارِكُم ... رَضِيتُم بضَيمٍ واحْتَبَيْتُم عَلَى وِتْـرِ
عِظَامُ المَقَارِي[5] في السِّنين وَجَارُكُم ... يَبِيتُ من اللَّائي تَخَافُ لَـدَى وَكْرِ

ويكرر القول ويسرف في الترديد ولكنه الاسراف الذي يغفر له أمام تقليب الصورة على عدة وجوه يأتي في كل مرة بملمح لا يتحقق في المرة الأولى ويبرز في كل بيت من هجائه معنى جديدا لم يظهره جليا فيما سبق يجدد في العرض دون

---

(١) ديوان جرير، ١٨٧.
(٢) ديوان جرير، ٢٠٧.
(٣) ديوان جرير، ٢٠٩.
(٤) ديوان جرير، ٢١٥.
(٥) المقاري : القدور



www.mtenback.com

أن يغير في أصل الحادثة شيئا، ويأتي في كل عرض بصورة لم تستهلك فيما مضى من الشعر مثل هذه الأبيات[1]:

وَقَـالَتْ قُرَيْشٌ لَيْتَ جَـارَ مُجَاشِـعٍ ... دَعَـا شَبْثًا أو كَـان جَار ابنِ خَـازِمِ
وَلاَ مَتْ قُرَيْشٌ فِي الزُّبَيْرِ مُجَاشِعًـا ... وَلم يَعْذِرُوا مَنْ كَان أَهْلَ المَلاَوُمِ
إِذَا نَــزَلُوا نَجْـدًا سَمِعْتُم مَـلاَمَـةً ... بِجَمْعٍ مِنَ الأَعْيَاصِ أَوْ آلِ هَاشِمِ

ويقـول[2]:

وَآبَ ابْنُ ذَيَّالٍ بِأَسْلاَبِ جَارِكُم ... فَسُمِّيتُمْ بَعْـدَ الـزُّبَيـرِ الـزَّوَانِيـا

ويقول[3]:

قالَتْ قُرَيْشٌ: ولِلْجِيْرَانِ مَحْرَمَةٌ ... أَيْنَ الحَـوَارِيُّ يَافِيشَ البَـرَاذِينِ
وَيَنفِشُـونَ لِحَاهُم بَعْـدَ جَـارِهِم ... لا بَـارَكَ اللَّهُ في تِلْكَ العَثَـانِينِ

ويقـول: [4]

رَأَيْتُـكَ لاَ تُوفي بِجَـارٍ أَجَرْتَـهُ ... وَلاَ مُسْتَعِفًّا عَن لِئَامِ المَـطَاعِمِ
فَمَا وَجَدَ الجِيرَانُ حَبْلَ مُجَاشِعٍ ... وَفِيًّـا وَلاَذا مِـرَّةٍ في العَـزَائِمِ
وَلَـو حَبْلَ تَيْمِيٍّ تَنَاوَلَ جَارُكُم ... لَمَا كَانَ عَاراً ذِكْرُهُ في المَواسِمِ

ويقـول: [5]

أَلاَ يَا لَقُـومٍ لا تَهُـدكُم مُجَاشِـعُ ... فَـأَصْلَبُ مِنْهَـا خَيْـزُرَانٌ وخِـرْوعُ
فَهُم ضَيَّعُوا الجَارَ الكَرِيمَ، وَلاَ أَرَى ... كَحُـرْمَةِ ذَاكَ الجَـارِ جَـارًا يُضَيَّـعُ
تَقولُ قُرَيْشٌ بَعْـدَ غَدْرِ مُجَاشِعٍ: ... لَحَى اللَّهُ جِيـرَانَ الـزبَيْـرِ ورجَّعُـوا

---

(١) ديوان جرير، ٤٦٣.
(٢) ديوان جرير، ٥٠٢.
(٣) ديوان جرير، ٤٨٥.
(٤) ديوان جرير، ٤٦٠.
(٥) ديوان جرير، ٢٨٦.



www.mtenback.com

فَلَو أَنَّ يَرْبُوعًا دَعَا إِذْ دَعَاهُمُ ... لَآبَ جَمِيعًا رَحْلُهُ المُتَمَزِّعُ
فَأَدُّوا حَوارِيَّ الرَّسُولِ وَرَحْلَهُ ... إِلَى أَهْلِهِ ثم افْخَرُوا بَعْدُ أودَعُوا

ثم يقول :[1]

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ يَوْمَ الزُّبيرِ ... بَلَاءَ القُيونِ وَأَخْبَارَهَا

ويقول أيضا :[2]

لَيْتَ الزُّبَيْرِ بِنَا تَلَبَّسَ حَبْلُهُ ... لَيْسَ الوَفِيُّ لِجَارِه كَالغَادِرِ

ويقول :[3]

يَا لَيْتَ جَارَكُم اسْتَجَارَ مُحَرِّقًا ... يَوْمَ الخرُبِيَةِ والعَجَاجُ يَثُورُ

ويقول :[4]

وَإِنَّ الحَوارِيَّ الذِّي غَرَّ حَبْلُكُم ... لَهُ البَدْرُ كَابٍ وَالكَوَاكِبُ كُسَّفُ

ويقول :[5]

وَحَبْلُكُمْ غَرَّ الزُّبيْرَ فَلَمْ يَكُنْ ... لِيَأْمَنَ جَارٌ بَعْدَهُ لَكُمْ حَبْلَا

ويقول أيضا :[6]

يَا لَيْتَ جَارَكُمُ الزُّبَيْرَ وَضَيْفَكُم ... إِيَّايَ لَبسَ حَبْلَهُ بِحِبَالِي

ويقول :[7]

قُتِلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتُم جِيرَانُهُ ... غَيًّا، لِمَنْ غَرَّ الزُّبَيْرَ طَوِيْلَا .

---

(١) ديوان جرير، ٢٤٣.
(٢) ديوان جرير، ٢٣٧.
(٣) ديوان جرير، ٢٤٨.
(٤) ديوان جرير، ٢٩٧.
(٥) ديوان جرير، ٣٣٧.
(٦) ديوان جرير، ٣٧٧.
(٧) ديوان جرير، ٣٦٥.



www.mtenback.com

قَالَتْ قُرَيشٌ : مَا أَذَلَّ مُجَاشِعًا   جَارًا، وَأَكْرَمَ ذَا القَتِيلِ قَتِيلَا
وَلَّوْا ظُهُورَهُمُ الأَسِنَّةَ بَعْدَمَا   كَانَ الزُّبَيْرُ مُجَاوِرًا وَدَخِيلَا
لَوْ كُنْتَ حُرًّا يَا ابنَ قَيْنِ مُجَاشِعٍ   شَيَّعْتَ ضَيْفَكَ فَرْسَخَيْنِ وَمِيلَا

ومثله :[1]

تَقُولُ قُرَيْشٌ أَيَّ جَارٍ غَرَرْتُمُ   وَقَدْ بَلَّ عِطْفًا ذِي الفِعَالِ مِنَ الدَّمِ
لَقَدْ أَمِنَ الأَعْدَاءُ أَنْ تَفْجَعُوهُمُ   وَمَا لَيْلُ جَارٍ حَلَّ فِيكُم بِنَائِمِ
لَوْ حَلَّ مِثْلُكَ فِي رِيَاحٍ وَسْطَنَا   جَارًا لَكَانَ جِوَارُهُ فِي مَحْرَمِ

---

(١) ديوان جرير، ٤٢١.



موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

www.mtenback.com

# فصل الجـــارة

**الجـارة :**

أما الجارة وهي موضوع هذا الفصل من الكتاب فإن العرب في جاهليتهم نظروا إلى حرمتها نظرة لا تنفصل عن النظر العام لحقوق الجـوار. والمرأة الجـارة تكون في كنف القـوم أضعف مستجير وأقـل ناصـر لذلـك اهتموا بحمايتها وصون كرامتها، ومدحوا من يحافظ عليها ويرعى حق جوارها، وقد شهد شعرهم في هذا المجال بما يعدونه من كمال المـروءة. وعندمـا جاء الإسلام مدَّ العمل بمكارم الأخلاق وحث على فضائل الأعمال، وعظم حق الجوار عامة وحق الجارة خاصة. فصار صون عفة الجارة خلقًا دينيًا وسلوكًا اجتماعيًا محمودًا وجاءت آثار وأحاديث تحث عليه وتجعل الاهتمام بالجارة والمحافظة عليهـا منطلقـًا اجتماعيـًا ودينيًا مقدسًا، فـاتفقت تقاليـدهم في الجاهلية مع روح الإسلام.

وقد تتبع البحث دواوين الشعر الجاهلي وصدر الإسلام وعصر بني أمية وأحصى ما ورد فيها عن هذا الموضوع، فكانت حصيلته من الشعر قليلة. كما وجد أن لبعض الشعراء اهتمامًا متميزًا أكثر من اهتمام غيرهم من الشعراء، فحاتم الطائي مثلاً خص الجوار بشيء غير قليل من شعره في حين أننا نجد شعراء غيره قلَّ عندهم الحديث عن الجار ولم يـذكروه إلاَّ عـرضًا متعلقـًا بموضوع آخر، ونوع ثالث خلا شعرهم من ذكر الجوار بتاتًا.

لكن ما وصل من الشعر على قلته يبين مفهـوم العرب للجـوار وحقوقـه عندهم ومدى فخرهم به وذكرهم للوفاء بما يلتزمونه من تقاليد عربية وهو أمر



www.mtenback.com

متفق عليه وإن قلَّ ذكره عند شاعر من الشعراء وكثر عند آخر فإن الاقتناع به عام لديهم.

وعندما تناولتُ الجوار عند العرب ومضمونه في الشعر، كنتُ أنظر إلى دلالته الاجتماعية بنظرة تفحص بواعث هذا الخُلُقِ ودوافع الاهتمام به عندهم، وأسباب حفاظهم على حقوق الجار وواجباته واقتناعاتهم بذلك وما يتطلبه لازم الجوار من عناية خاصة.

وكانت حماية الجار هي أبرز ما ظهر في الشعر الذي تحدث عن حقوق الجوار وواجباته ووصف الدفاع عن الجار إذا نزل في كنف القوم وجعل ذلك دليلاً على مروءة العربي ورفيع مكانته في الناس. وكنت أنظر إلى الجوار من هذا المنطلق. لكن عندما جمعت ما تيسر من مادة وعدت لتصنيفها ظهر أمامي ما لفت نظري وهو تميز الحديث عن الجارة إذ ظهرت فيه روح خاصة ونغمة متميزة وشعور ملح جعلني أعيد القراءة مرة أخرى لما بين يدي من الأبيات فوجدت أن نصيبها شيء لا يستهان بمضمونه على الرغم من قلة مادته، عندئذ عزمت أن أجعل ما تناول حق الجارة خاصة من الشعر فصلاً في هذا الكتاب والسبب الذي دفعني إلى ذلك هو خصوصية المعنى الذاتي الكريم الذي أستشعره، وأنا أتابع ما قال الشعراء فأجد أن في قولهم دلالة اجتماعية إنسانية، وأنهم عندما يتحدثون عن حرمة الجوار عامة لا ينسون الخصوصيات في هذا العموم، ولاسيما المرأة الجارة التي تحظى بشيء غير قليل من التوهج النفسي الذي يصف أخلاقهم وكمال عاداتهم وأصالة تقاليدهم.

ولا أجد فيما أنا بصدد الكلام عنه أجمع لعادات العرب في جاهليتها وإسلامها، ولا أصدق على صفاء أخلاقها ومروءتها وقربها من الفطرة والكمال من حديث رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]. وهو دليل على أن مكارم الأخلاق عند العرب في جاهليتهم كانت على وَشْكِ الكمال والتمام ولا يشوبها غير الشرك بالله وعبادة الأصنام فجاء الإسلام بالتوحيد

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٧٨١.



www.mtenback.com

فطهرهم وكملت أخلاقهم وكرمت طباعهم. وهذا سيقود إلى شرح لبعض مكارم الأخلاق التي كانت عندهم في جاهليتهم وكانوا يرعونها ويحافظون عليها، ثم جاء الإسلام فزاد الأخلاق الكريمة تمكينًا ورسوخًا في عقائد العرب المسلمين مثلما كانت قوية راسخة وحية مشرقة عند العرب الجاهليين.

ولا شك أن المعنى الذي دار حوله الشعر هنا نموذج قليل ومثال للتدليل على ما يريد العربي أن تكون عليه أخلاقه وهو شاهد على قيمة الأخلاق التي يؤمن بها أشد الإيمان، ولا يتنازل عن شيء منها فيما يواجه من تغيرات الحياة وصروف الدهر؛ لذلك كان في شعره مهاجمًا عنيفًا لكل ضعف يطرأ على سلوك المرء نحو اهتزاز العقيدة الراسخة بحق الجارة وحرمتها ووجوب الوفاء لها حتى لو جاع هو ومن حوله من أهله فإنه يحاول ألاَّ تجوع جارته وهي بكنفه.

أما في هذا البحث الذي سيتناول المرأة الجارة خاصة ويتناول حقها عندما تكون جارة لحي من العرب، والواجب نحوها فيما قبل الإسلام، فقد تركز في محاور دارت كلها حول صونها وكرامتها وعفتها وأنها حصان لا يهتك لها ستر ولا يجرؤ على ذلك أحد، وعندما جاء الإسلام أكد القيم التي عرفتها العرب وعظمها وزاد عليها. فنصت تعاليمه السمحة على تحريم جميع المفاسد الاجتماعية على الناس، ومنها الزنا بكل صوره وأشكاله. ولكنها مع التشدد في تحريمه ضاعفت عقوبة الزنا في حال خاصة وهي أن يزني الرجل بحليلة جاره. جاء في الحديث الشريف[(١)] «لأن يزني الرجل منكم بعشر نسوة خير[(*)] له من أن يزني بحليلة جاره». وهو الأمر الذي كانت تحرمه العرب في الجاهلية وتعظمه، وقد ورد شعرهم يحكي سموهم عن الجارة وابتعادهم عنها وتعظيم حرمتها حيث ينسب للأعشى قوله:[(٢)]

وَلَا تَقْـرَبَـنَّ جَـارَةً إِنَّ سِـرَّهَـا        عَلَيْـكَ حَـرَامٌ فَـانْكَحَنْ أَوْ تَـأَبَّـدَا

---

(١) حق الجار، ص ١٤.

(*) إنه لا خير فى الزنا بمرأة الجار أو بغيرها.

(٢) ديوان الأعشى، ص ٢٨.



www.mtenback.com

ويقول في موضع آخر من ديوانه:[1]

وَجَارَةُ جَنْبِ البَيْتِ لاَ تَبْغِ سَرَّهَا      فَإِنَّكَ لاَ تَخْفَى على اللّهِ خَافِيَا

فهذا رأيه فيما يتعلق بحق الجارة، على الرغم مما عرف عنه من غرام بهذا الجانب حتى ساقت الروايات أحاديث مفادها أنه أراد أن يفد على الرسول ﷺ ويسلم فلما عرفت قريش ذلك حاولت صده حتى لا يكون شعره مناصرًا للدعوة الجديدة، ولم تجد ما تصده به عن محمد ﷺ إلاَّ أن دينه يحرم الزنا والخمر. وقد روت الروايات والقصص أن ذلك كان سبب عودته وردته عن الوفادة[2]. وشاهدنا فيما سقنا هنا هو أنه حتى مع تأصل هذا الخلق في نفسه وما شهر به طبعه فإنه ينشد الشعر معظمًا في عرفه الاجتماعي خطيئة ما يرتكب من الزنا إذا كان ذلك بحليلة الجار وينهى عنه ويأمر بالابتعاد منه إكرامًا لحقها واعترافًا بحرمتها وشعورًا بواجب الرعاية التامة لها، وبيان دلالة الالتزام نحوها، وهو شعور يعد جانبًا من المروءة التي يتصف العربي بها وسنعرض من الشعر ما يحمل دلالات اجتماعية راقية تبعد بأخلاق الإنسان حتى عن وساوس النفس الأمارة بالسوء وعن مجرى الشك ولو كان بين الإنسان ونفسه وتحث على سلوك إنساني رفيع ومعنى كريم وخلق يستحق المعالجة. فقد مرَّ مالك بن أنس فقيه المدينة بقينة تغني شعرًا تقول فيه:

أَنْتِ أُخْتِي وَأَنتِ حُرْمَةُ جَارِي      وَحَقِيقٌ عَلَيَّ حِفْظُ الجِوَارِ
إِنَّ لِلجَارِ إِنْ تَغَيَّبَ غَيْبًا      حَافِظًا لِلْمَغِيبِ وَالأَسْرَارِ
مَا أُبَالِي أَكَانَ لِلبَابِ سِتْرٌ      مُسْبَلٌ أَمْ بَقِي بِغَيْرِ سِتَارِ

فوقف يستمع إليها ثم قال: «علموا أهليكم هذا ونحوه»[3].

---

(1) ديوان الأعشى، ص ٣٨١.
(2) الأغاني، ج ٩، ص ١٢٢.
(3) بهجة المجالس، ج ١، ص ٢٩٠.



www.mtenback.com

## الجارة الحصان

الحديث عن حقوق الجار في أغلب ما بين أيدينا من الشعر هو في الحقيقة حديث عن النفس وليس حديثًا عن الجار لأن الشاعر يذكر عزة جاره في سياق فخره بنفسه والتزامه بالمروءة وتحديه لأحد أن يخفر ذمته أو يهين جواره وقد سبق التعريف بأن الغرض من طلب الجوار هو الحماية، وما دام الجار يحتاج الحماية فإن الحامي يجب أن يكون قويًا وشجاعًا وذا هيبة في قومه حتى يحقق الحماية لجاره ثم يكون كريمًا معطاءً وذا مروءة والتزام أخلاقي رفيع وهذه الصفات هي المفخرة له يذكرها في شعره وينشرها بين الناس، ويكون الحديث عن الجار وصفًا لموقف ذاتي عن الشاعر نفسه أو عن قومه.

أما حق الجارة وهو جزء من القيمة الاجتماعية التي يحمدها الشعراء ويمجدون الوفاء بها فإن حديث الشاعر عنه يكون ذا صلة بالموضوع العام من أحد جانبيه وهو الجانب الذي يوافق مكانتها في محيط الصورة الشاملة للجوار والفخر به. وإذا كانت الحماية العامة والإيواء والأمن من الحق المعروف الشامل للجوار فإن للمرأة الجارة خصوصيات حددها الشعر تتعلق بوضعها كامرأة تحتاج من الحماية ما لا يحتاجه الرجل.

وسنجمل المحاور التي برزت في الشعر الذي تعرض لمكانة الجارة وهي ثلاثة محاور أساسية دار حولها ولم يخرج عنها:

**الأول:** المحافظة على شرفها ما دامت نازلة في جوار العربي الكريم.

**الثاني:** الستر لها وغض الطرف عنها وعدم التطلع إليها أو الطمع فيها.

**الثالث:** القيام بسداد الحاجة إن احتاجت حتى لا تجوع ولا تعرى ولا تصيبها مسغبة وهي بجواره.

هذه المحاور الثلاثة هي التي وجدنا الشعر يدور حولها وألح الشعراء الذين تعرضوا للحديث عن الجارة على أنها في جوارهم تبقى موفورة العرض مصونة



www.mtenback.com

الجانب وافرة الشرف، حصانًا لا تمسها يد لامس بعيدة عن كل ريبة، مما يوحي بأن الحماية لها تعدُّ حماية خاصة مضافة إلى الحماية العامة التي يقتضيها حق الجوار لها ولأهلها، وهذه الحماية الخاصة تبدأ بصون عفاف الجارة عن الجار نفسه وعن غيره فيأتي الحديث عنها مبعدًا الطمع فيها، رافعًا مكانها فوق الثرياء لأنها حلت في جوار رجل لا ينال أحد حماه ولا تخول لأحد نفسه أن يخدش كرامة الجارة. وقد قبح حاتم الطائي أن يطمع الرجل ذو المروءة بجارته أو تحدثه نفسه بزيارتها تحت جنح الليل فقال منكرًا أن يحدث ذلك:(١)

إِذَا مَا بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ جَارِي      لِيُخْفِيَنِي الظَّلَامُ فَلَا خَفِيتُ

أَأَفْضَحُ جَارَتِي وَأَخُونُ جَارِي      مَعَاذَ اللَّهِ أَفْعَلُ مَا حَيِيتُ

فقد حصر الشاعر ذلك بعلاقة ذاتية فردية هي الترفع عن الجارة والتسامي مع خصال المروءة فهو الذي يجعل لجارته هذا المكان الرفيع حيث لا يطمع أحد بالعدوان الشائن عليها فيظهر الدفاع عنها والبطش بالمعتدين ثم يتحدث عن سلوك ذاتي الإرادة، فيستبعد أن يسوء نفسه بما لا يحمد فعله ويلحُّ الشعر العربي على هذا المعنى في عدد من الأبيات منها:(٢)

وَمَا أَنَا بِالْمَاشِيْ إِلَى سِرِّ جَارَتِيْ      طَرُوْقًا أُحَيِّيْهَا كَآخَرَ جَانِبِ

ومنه:(٣)

وَلَا نَطْرُقُ الْجَارَاتِ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ      مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا بِالْهَدِيَّةِ تُحْمَلُ

وأيضًا منه:(٤)

فَأَقْسَمْتُ لا أَمْشِي إِلى سِرِّ جَارَتِي      يَدَ الدَّهْرِ مَادَامَ الحَمَامُ يُغَرِّدُ

وكل هذه الأبيات منسوبة لحاتم الطائي يورد فيها معنًى جديدًا للمحافظة

---

(١) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٢٣.

(٢) ديوان حاتم الطائيز ص ٢٠٤.

(٣) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٣٢.

(٤) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٦٣.

موقع الكتب المترجمة www.mtenback.com



www.mtenback.com

على كرامة الجوار وحرمة المستجير لا من عدو يعتدي ولا من غالب يفرض قوته عليه، ولكنَّه يستبعد من نفسه العدوان ويغلق ميل الطبع المركب في جبلة الإنسان. ثم يؤكد أن هذا الميل إن وجد عنده فليس إلى الجارة ولا يمس كرامة المستجير بل إنه يأخذ معناه الشامل ونظرته إلى مجمل الجوار ولوازم الحماية التي يتحلى بها الخلق الرفيع ويجعل المستحيل كله أن تحدثه نفسه بما يبعث الريبة والشك عند جاره، أو يمس احترام جارته، ولعل الإلحاح من حاتم على تأصيل خلق المروءة يعود إلى تمسكه بأخلاق ذاتية و مثاليات خاصة به إذ إنه في مجمل ما حفظ له من شعر يُبْرِزُ الجانب المشرق في السلوك الإنساني فيتحدث عن الكرم فيسهب، ويصف حسن الجوار فيثني عليه ويتكلم عن الجود فيطيل. ولا غرو أن تكون الجارة في شعره صورة يرسم عليها معاني المحافظة الكاملة ويجعل شعره معبرًا عن تصوره لما يجب أن يكون لها. وإذا نظرنا إلى المعنى نفسه عند شعراء آخرين غير حاتم وجدنا عقيل بن عُلَّفَة المري يوافق حاتمًا كل الموافقة على ضرورة الوفاء والترفع عن ما يسوء الجارة أو يسيء الجوار، ويسوق رأيه واضعًا نفسه وطبيعة سلوكه المترفعة عن الممارسات الخاطئة مُعَرِّضًا بمن لا يرقى سلوكه إلى مستوى أخلاق عقيل ومحافظته، فيقول:(١)

وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي ... أَغُيَّابٌ رِجَالُكِ أَمْ شُهُودُ
وَلَا أُلْقِي لِذِي الوَدَعَاتِ سَوْطِي ... أُلَاعِبُهُ وَرِبَّتَهُ أُرِيدُ
وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِي ... صُدُورَ العَيْرِ غَمَّرَهُ الوُرُودُ

أما تميم بن أبي بن مقبل فيبعد صفة اللوم عن نفسه ويزعم أنه لا يفعل ما يمس كرامة الجارة أو يسيء إليها سلوكه الممتاز زاعمًا أنه لا يمكن أن يحدث منه ما قد يحدث من بعض من لم تتأصل في نفسه فروض الكرامة، عندما يدنو من حواء الجارة في ظلام الليل يقارب الخطو ويخفي الشخص ويندس اندساس الرجل اللئيم فيضعف وازع الإرادة الحازمة عنده. ويدفعه ضعف نفسه فيطمع

(١) شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ٤٠٠.



www.mtenback.com

بجارته ويرتحل السكون وهدوء الحي يقارب الخَطْو ويخفى الشخص خوف الناس، فيرسم الشاعر ذلك السلوك بصورة متقزّمة دميمة فيقول :[١]

وَلاَ أَطْرُقُ الجَارَاتِ بـاللَّيْلِ قَـابِعًا ... قُبُـوعَ القَرنْبي أَخْـطَأَتْـهُ مَحَـافِـرُهُ

وقد أكد الشعراء بأبيات كثيرة أنهم لا يأنسون إلى زيارة الجارة إذا كانت خالية والحي خلوف، وليس من شيمهم الحديث إليها فى تلك الحال حتى لا يجر الحديث إلى ما يخشاه الكريم وذو المروءة، يقول هلال بن خثعم[٢] :

وَإِنِّـى لَعَـفٌّ عَنْ زِيَـارَةِ جَـارَتـي ... وَ إِنِّي لَمَـشْنُـوءٌ إِلَـيَّ اغْتِـيَـابُهَـا
إذا غَـابَ عَنْهَا بَعْلُها لَمْ أَكُنْ لَهَـا ... زَءُورًا وَلَـمْ تَـأْنَسْ إِلَيَّ كِـلاَبُـهَـا
وَلْم أَكُ طَـلاَّبًا أَحَـاديث سِـرِّهَـا ... وَلاَ عَـالمًا مِنْ أَيِّ جِنْسٍ ثِيَـابُهَا

ويقول قيس بن الخطيم : إن عينه لا تلمع إلى غرة الجارة ولا يمتد طرفه نحوها على غفلة. وعندما تكون بعيدة فإن النظر لا ينتقل إليها، ويزيد ذلك بسؤال استنكاري يبعده عن كل ما يقربه من شك يسيء إلى الجوار فيقول[٣] :

وَهَل يَحْذَرُ الجِـارُ القَريبُ فَجِيعَتِي ... وَخَـوْنِي وَبَعْضُ المُقْـرِفِين خَؤُونُ
وَمَـا لَمعَتْ عَيْنِي لِغَـرَّةِ جَـارَتِي ... وَلاَ وُدِّعَـتْ بِـالـذَّمِ حَيـنَ تَبِـينُ

---

(١) ديوان ابن مقبل، ص ١٥٤.

(٢) كتاب البخلاء، ص ١٧٣؛ والأبيات منسوبة إلى بشار بن بشر المجاشعي فى : القرطبي، بهجة المجالس، ص ٢٩١؛ وانظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، مج٣، ص١٨٣؛ ومعها البيتان التاليان :

وإن قـراب البـطـن يكـفـيـك مـلؤه ... ويكفيـك سـوءات الأمـور اجتنـابهـا
إذا سـد بـاب عنـك من دون حـاجـة ... فـذرهـا لأخـرى لَـيِّنٌ لـك بـابهـا

وأميل إلى أن هذه القطعة هي لبشار بن بشر المجاشعي وليست لهلال بن خثعم كما روى الجاحظ في بخلائه.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم، ص ١٦٥.



www.mtenback.com

ويصف زهير بن أبي سُلمى نفسه بأنه يعف عمّا يؤذي شعور الجار فلا يديم النظر إلى جارته لا في سر ولا علانية فيقول(١) :

وَجَـارِي لَـيْسَ يَخْشَـى أنْ أُرَنِّـي ... حَـلِيـلَتَـهُ بِـسِـرٍّ أوْ عَـلاَنِ

وعند طفيل الغنوي اقتناع آخر بهذه المثل الكريمة والأخلاق المحمودة يجسدها في أبيات على شاكلة قوله(٢) :

وَلاَ أقُـولُ لِجَـارِ البَيْتِ يَتْبَعُني ... نَفْسِي مَحَلُّكَ : إنَّ الجَـوَّ مَحْلُولُ
وَلاَ أُخَـالِفُ جَارِي فِي حَلِيلَتِـهِ ... وَلاَ ابْنَ عَمِّي غَـالَتْنِي إذن غُـولُ
وَلاَ أُحَـدِّدُ أَظْـفَـارِي أُقَـاتِـلُهُ ... إنَّ لِلُّطَامَ وَقَـولَ السُّـوءِ مَحْمُـولُ

وهو يؤكد المعنى الذي تواترت عليه أبيات الشعراء عن حرمة الجارة وقريبة الدار، ويشرك مع الجارة زوجة ابن العم مشيرًا إلى التعفف عن حرمات هذين لمكانتهما معلنًا رعاية حقهما وإن بعدا أو غابا وتهيأت أسباب الوصال من الطرف الآخر فالإباء من جانبه أقوى من ذاته وأعم والرعاية لهذه الحرمات لن يمس القناعة بها حتى الرضا من الطرف الآخر وغياب الرجل صاحب العلاقة.

ومهما كانت العوامل التي يتعرض لها من جانب المرأة أوحدوث الفرصة، فعنده قصد ثابت ومرام لا يتغير يسعى به إلى الغاية التي جعلها سبب امتناعه حيث يرى رأيه عدد من الشعراء الذين يوافقونه ويؤيدون قناعته بشعر مثل شعره ومن هؤلاء كُثَيِّر عزة الذي يقول(٣) :

نِسَـاءُ الأخِـلاَّءِ المُصَـافِينَ مَحْـرَمٌ ... عَلَيَّ وَجَـارَاتُ البِيُـوتِ كَنَـائِنُ

---

(١) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص ٨٥.
(٢) ديوان الطفيل الغنوي، ص٨٥.
(٣) ديوان كثير عزة، ص٣٨٠.

ويأتي الأحوص الأنصاري بشيء من التفصيل ويعلل لماذا يترفع من امرأتين خاصة دون غيرهما. امرأة الصديق وجارة الجنب فيقول[1] :

ثِنْتَـانِ لَا أَدْنُـو لِـوَصْلِهِمَـا عِـرْسُ الخَلِيـلِ وَجَـارَةُ الجَنْبِ
أَمَّـا الخَلِيـلُ فَلَسْتُ فَـاجِعَـهُ والـجَـارُ وَصَّـانِي بِـهِ رَبِّـي

فالأحوص وكثير يتنازعان معنى لطيف الدلالة على مروءة العربي ونظرته إلى حدود العلاقة بين الرجل والمرأة وعوامل التغير فى نظرتهما هي أن كثيرًا خلط نفسه بأصدقائه وجعل حرماتهم واحدة ونساءهم محارم له لايحل له منهن غفلة، وجارات بيته كنائن له مصونات لا يريبهن منه ريبة ولا تحدثه نفسه بذلك، في حين نجد الأحوص يحدد المرأتين اللتين يعف عنهما، امرأة الصديق الذي قويت به أسباب العلاقة الشخصية، والجار الذي لجأ إليه. وله في كل منهما سبب يفسره، فهو لا يريد فجيعة الصديق؛ أما الجار فحقه إسلامي ووصاية دينية لا يحل له مخالفتها. وعندما ينتقل الحديث من النفس وما يعتقد الشاعر بذاته إلى الجانب الآخر من الناس، ويأخذ الشعر في ذكر محامد الأجواد والثناء على مكارم أخلاقهم فإن هذه الخصلة تأتي رصيدًا يدفع الشعراء الحديث عنه إلى الأفواه ويصورونه بأضخم آيات الحمد والثناء ويجعلون البعد عن مساس الجارة خلقًا يمدح به المادحون ومكرمة يكررها الواصفون، فيقول حاتم في وصف قوم استحقوا الثناء في رأيه والمدح[2] :

وَجَـارَتُـهُمْ حَصَـانٌ مَـا تُـزَنَّـى وَطَـاعِمَـةُ الشِّتَـاءِ فَمَـا تَجُـوعُ

أما الخنساء فتصور أخاها بعد موته بأنه كامل المروءة وتخلع عليه صفات الرجال الكملة وتضفي على سلوكه خصال التقدير فتقول فى وصفه[3] :

وَلَا يَقُـومُ إِلَى ابنِ العَـمِّ يَشْتُمُـهُ وَلَا يَـدِبُّ إِلَى الجَـارَاتِ تَخْوِيـدَا

(١) ديوان الأحوص، ص ٨٣.
(٢) ديوان حاتم الطائي، ص ١٤٨.
(٣) ديوان الخنساء، ص ٤٠

وفي بيت آخر تعود إلى أخيها فتصف عميق إيمانه بقيمة العادات الاجتماعية وأهمية المحافظة عليها عنده فتقول[1] :

لَمْ تَــرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَــاحَتِهَــا ... لِــرِيبَــةٍ حينَ يُخْلِي بَيْتَــهُ الجَــارُ

أما جارة شبيب بن البرصاء فهي لا تكاد تقع عليها عين ولا تصلها مذمة وهي آمنة أمن الأروى المعصمة في قنة الجبل الأشم، وما ذلك الجبل والشمم إلا حصن الشاعر وقومه الذي يضعونه دون الجارات ويصدون به طمع الطامعين فيهن المتطلعين إليهن فيقول[2] :

يَــدُلُّ عَلَيْنَــا الــجَــارَ آخَــرُ قَبْلَهُ ... وَأَحْــلامُنَا مَعْــرُوفَةٌ وَسِــدَادُهَــا
وجَــارَاتُنَــا مَــادُمْنَ فِيْنَــا بِعِــزَّةٍ ... كَـأَرْوَى ثَبِيْـرٍ لَايُحِـلُّ اصْـطِيَـادُهَـا

إن قداسة علاقة الجوار كانت في رأيه مثل مكانة الحرم الذي لا يجرأ على انتهاكها إنسان ولا يستطيع أن يفعل ذلك حتى لو أراد لأن لها واقعًا متميزًا ومكانة تبعدها عن طمع الطامعين، كما يمدح الحطيئة قومًا يحفظهم سر الجارة فيقول فيهم[3] :

لَعَمْــرُكَ مَــا الْمُجَــاوِرُ في كُلَيْبٍ ... بِمُقْصَى في الجــوارِ وَلَا مُضَــاعِ
هُــمُ صَنَعــوا لِجَــارِهِــمُ وَلَيْسَــتْ ... يَدُ الخَرْقَــاءِ مِثْلَ يَــدِ الصَّنَاعِ
وَيَــحْــرُمُ سِــرُّ جَــارَتِهِــمْ عَلَيْهِمْ ... ويَــأْكُــلُ جَــارُهُمْ أَنْفَ القِصَــاعِ
وَجَــارُهُــمُ إذَا مَــا حَــلَّ فِيــهِــمْ ... عَــلَى أَكْنَــافِ رَابِــيَــةٍ يَــفَــاعِ

ويأخذ المعنى نفسه الأعشى فيمدح هوذة بن علي الحنفي وقومه بهذا الخلق الكريم فيقول[4] :

---

(١) ديوان الخنساء، ص ٤٩.
(٢) طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٧٢٧.
(٣) ديوان الحطيئة، ص ١٣٨.
(٤) ديوان الأعشى ص ١٥٧.

هُمُ الخَضَارِمُ إنْ غَابُوا وَإنْ شَهِدُوْا     وَلَا يُـرَوْنَ إلَى جَـارَاتِهِمْ خُنُـعَـا
قَـوْمٌ بُيُـوتُهُـمْ أمْـنٌ لِـجَـارِهِـمُ     يَوْمًا إذَا ضَمَّتِ المَخْدُورَةَ القَزَعَـا

## الجارة المستورة

بعد الإعراب المباشر الصريح عما في نفس المرء نحو جارته وحرمتها التي يرعاها والقرابة التي يدين بها نأخذ في الموضوع جانبًا آخر، عندما يتحول الحديث المباشر إلى الكناية عن الشيء ببعض لوازمه. والستر ستر البيت تكون وراءه الحرمات ومن هتك سترًا فقد قصد إلى اختراق حرمات الجار ولعل الشعر الذي نحن بصدد إيراده عن الجارة يأخذ الستر موضوعًا، ويجعل الشعراء له معنى عندما يحددون سلوكيات الناس الكريمة الفاضلة وتصير الكناية بالستر عما وراءه محورًا يدير الشاعر القصيدة حوله فيأخذ ستر الجارة حقه من الإشارة إليه والكناية عنه بمثاليات السلوك الطيب المحمود الراقي المتسامي إلى مكارم الأخلاق. ويأخذ الستر حقه أيضًا عندما يصف الشاعر ذلك المنحدر إلى مهابط الرذيلة ومشارع اللؤم وانحراف الإرادة السوية لدى الإنسان فيسير به هواه إلى منعطفات مظلمة ضيقة تقوده إلى النزول في سراديب الرغبة الممقوتة. فإذا أخذنا الجانب الأول وجدناه مشرقًا في لغة الشعر وضّاءً فى عقلية الشعراء مشعًّا في وجدانهم حيًّا في أحاسيسهم وأحاسيس الناس حولهم فيمدح به الممدوحون ويتقرب به المتقربون عندما يصفون أخلاق الكرم وضروب الشهامة عند العربي الكريم، يقول الشاعر في ذلك مادحًا من هذه صفاته[1]:

لَا يَهْتِكُ السِّتْرَ عَنْ أُنْثَى يُطَالِعُهَا     وَلَا يُشَدُّ إلَى جَارَاتِهِ النَّظَرُ

فهو عف في كل حال لا تمتد له نظرة مريبة ولا يحاول اختراق الحجب والاقتراب من الحوزة يغض الطرف ويقصر الخطو ولا سيما عن جارة المنزل وقريبة الدار. وهو وفيٌّ في الذمام كامل المروءة حتى تفارق الجارة وتبعد عنه

(١) كتاب الأمالى، ص ١٦

حصانًا عفيفة لم تمس لها كرامة ولم يخدش لها حياء، ويأتي المعنى نفسه لدى الأبيرد الرياحي فيقول[1]:

وَإِنْ جَـارَةٌ حَلَّتْ إِلَيْـهِ وَفَى لَهَـا ... فَبَانَتْ وَلَمْ يُهْتَكْ لِجَارَتِهِ سِتْـرُ

ثم يأخذ الشعراء بالصعود العالي إلى قمم الشرف ومرتفعات المنازل يذكرون الأحوال والمتغيرات التي تحدث مع الزمن وقسوة الأيام واشتداد البأس فلا يتغير معدن الكرامة ولا يصاب لديهم صميم المروءة في دلالة واضحة على تأصل الخلق الذي يجعلونه للمعالي ويفرضونه على أنفسهم من أجل أن تبقى كرامة النفوس ومكانتها. يقول مسكين الدرامي[2]:

لَا يَرْهَبُ الْجِيرَانُ غَدْرَتَنَا ... حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا الْقَبْـرُ
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَحَتْ ... إِحْدَى السِّنِينِ فَجَارُهُمْ تَمْـرُ
مَوْلَاهُمُ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ ... تَنْتَابُهُ الْعِقْبَانُ وَالنَّسْـرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ ... وَإِلَيْهِ قَبْلِيْ تَنْزِلُ الْقِدْرُ
مَا ضَرَّ جَارِي إِذْ أُجَاوِرُهُ ... أَلَّا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْـرُ
أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِيْ خَرَجَتْ ... حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِدْرُ
وَيُصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا ... سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْـرُ

وهذا النص يتعامل مع الحياة الواقعة ويوظف الإبداع لتسمو الإرادة وترتفع إلى درجات الكمال ثم يكثف معنى شموليًا وإحساسًا عميقًا بوابل من صيب مبارك تمطر به سحائب أخلاق العرب ومكنون نفوسهم فيقوى فيه الغريب والضعيف ومن لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو حماية عرضه، ولأن ميل النفس إلى المرأة يقوى بضعفها وغربتها فقد أصبحت الجارة إمتحانًا لما يدعي الرجل من أخلاق السمو والرفعة. وبدأ جانب الاهتمام بها يكبر والإحساس نحو حرمتها يتجذر أصله في النفوس حتى تبقى العلاقة معها ناصعة البياض مشرقة

---

(١) أكتاب الأمالي، ص ٤.
(٢) ديوان مسكين الدرامي، ص ٤٥

الديباجة لا يدنس لها جانب ولا يخفى منها خفاء، ليدعي كل جار أن هذا خلقه مع جارته ونزيلة حيه وأنه غضيض الطرف إن انكشف حجاب الستر أو برزت فى العراء بلا واق ولا مانع، عندئذ تكون أخلاقه هي الحاجب الواقي والمانع الذي لا تخترقه أسهم النظرات يقول الأعرج الطائي(١) :

وَمَا أَنَا إِنْ قَامَتْ تَحَمَّلُ جَارَتِي ... بِمَا كَانَ مِنْ عَوْرَاتِهَا بِبَصِيرِ

ويقول عروة بن الورد إن الجارة في كنفه آمنة حتى عندما ينكشف عنها حجابها وتقلع الريح بيتها وتلوي به بعيدًا عنها فتظهر الجارة أمامه دون ستر عند ذلك يتشاغل عن النظر إليها ويتغافل عن التطلع نحوها حتى يقيم الستر عليها(٢).

وَلاَ يُسْتَضَامُ الدَّهْرَ جَارِي وَلاَ أُرَى ... كَمَنْ بَاتَ تَسْرِي لِلصَّدِيقِ عَقَارِبُه

وَإِنْ جَارَتِي أَلْوَتْ رِيَاحٌ بِبَيْتِهَا ... تَغَافَلْتُ حَتَّى يَسْتُرَ البَيْتَ جَانِبُهْ

أما حاتم الطائي فيعود إليه الحديث مرة أخرى وهو يصور خلقًا آخر من أخلاق الكمال والسمو ويرتفع بعيدًا في سماء الحياة التي يعيشها الناس حوله حتى يطل من علٍ على أبعاد الأرض تحته فتصبح بين يديه ينظر أين يضع خطو قدمه حيث لا تقع على وحل الطين اللازب، فيقول :(٣)

وَمَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي غَيْرَ أَنَّنِي ... إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لاَ أَزُورُهَا

سَيَبْلُغُهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ بَعْلُهَا ... إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصَرْ عَلَيَّ سُتُورُهَا

إن لستر الجارة عند الشعراء دلالة معنوية قوية تحددها التقاليد الاجتماعية وتدفع للمحافظة عليها خوف العار فيرسم الشعر لها صورة مشرقة حتى يبدو حرص الشاعر على اكتساب المحامد والظهور في مجتمعه بمظهر المروءة الكاملة.

---

(١) أكتاب النوادر في اللغة، ص ٧٩.

(٢) ديوان عروة بن الورد، ص١٦.

(٣) ديوان حاتم الطائي، ص١٠٧.

والجارة التي يصف التزامه بحقها صارت مجالاً للحديث الذي يمثل عند الشعراء أدبية الالتزام في جميع الأحوال ويجدد في ذاكرة الأجيال قيمة الأخلاق الفاضلة. ولا ينسى حظه عندما يذكر غيره، فيؤكد وفاءه بما للجوار من واجب، ويعلن أهمية الالتزام الأدبي نحو مثاليات التقاليد في مجتمع الجزيرة.

ولم نجد شاعرًا ابتعد عن هذا الموضوع حتى الذين مدحوا غيرهم، كانوا في مدحهم يربطون بين الممارسات الشخصية للممدوح والقناعة الذاتية بالوفاء والالتزام، وكان حاتم الطائي مثالاً لظاهرة المعاناة ولو كلفه ذلك ذهاب ماله ونفسه. فيرسخ عمق الإيمان بمبدأ الصبر الدائم في جميع الأحوال فلا يعرف الظروف القاهرة ولا يقبل الخضوع للقوة ولا يلتمس العذر للخلاص من لوازم الجوار وواجباته.

وإذا كانت صورة الوفاء وإكرام الجارة والعناية بحقها فضيلة يمدح الشاعر فيها قومه ويفخر بها على من حوله، فإن هجاء من يضعف عنده الوفاء بأخلاق الكرام يصير سبة وعارًا في نظر الشعر، ويجد فيه الشاعر سببًا للهجاء فيهاجم المقصرين والعاجزين عن الالتزام بالأعراف والتقاليد المتفق عليها. ويتخذ الشاعر الضعف وسيلة للهجوم على الآخرين عندما يثور بركان الغضب في نفسه على جماعة من الناس أو على فرد من القبيلة ويحاول هذا البركان أن يحرقه اجتماعيًا ومعنويًا ثم يذروه رمادًا تطير به الريح فلا يبقى له وجود ولا يعترف له بفضل ولا تصبح عنده حصانة أمام عدوان الغضب. في هذا الحال يصير فتيل الغضب وبركان الزلازل هو سلوك المهجو الرديء نحو الجارة وعدم تقديره لعظيم حقها عندما حلت بجواره واحتمت بكنفه ولاذت بحصن شرفه الوضيع فيأتي الهجاء على هذا المعنى كما يقول جرير[1]:

بَنـو نَخَبَـاتٍ لَا يَفُـوْنَ بِـذِمَّـةٍ  وَلَا جَـارَةٌ فِيهِمْ تُهَـابُ سُتُـورُهَـا

إنه يعد التهاون عار الأبد والفضيحة التي لا تغتفر عندما يعير الرجل بجارته

---

(١) ديوان جرير، ص٢٠٦.

وتضعف نفسه عن مقاومة ميله أو انحراف سلوكه، حتى لو كان الهجاء كاذبًا أو مُدَّعىً فإنها تصبح مؤلمة مرفوضة ينظر إلى ما يقول بكل استهجان وتقزز لا يقبله الشرف الكريم ولا يوصم به غير اللئيم. وليكن بعد ذلك ما يكون في نظر الشاعر، إنما الغرض الذي يريده ويسعى إليه هو أن يجهز بسرعة على خصمه ويقضي على رمق الحياة المعنوية فيه قبلْ أن يرد له ضربة قاضية. وليس أسرع من القضاء على الخصم غير أن يجعل شرف الجارة، جارة الخصم في خطر منه قبل أن تجب فروض الوفاء لها من غيره. وهذا ما فعله عقيل بن علفة المري عندما أجهز على أعدائه بني الهجيم فلم يتردد من استعمال الضربة القاضية قبل أن يستعد الأعداء لرد الكيد، يقول عقيل(١):

إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ عَلَى الهُجْمِ لَمْ تَجِدْ كَرِيمًا، وَلَمْ تَعْدَمْ لَئِيمًا يَزُورُهَا
أَلَمْ تَرَ بَدْرًا لَا تُمَانِي دِمَاءَهُمْ دِمَاءً، وَلَمْ يَعْقِدْ لِجَارٍ مُجِيرُهَا

فالشاعر يضخم المأساة التي يتحدث عنها هنا في هذه الأبيات عندما تجد الجارة غير الكريم في حي اعتمدت حفاظه وألقت بعبء الدفاع عنها عليه فلا تجد كريمًا يحميها ويحفظ الحق المضاع لها في غربتها وبعدها عن حاميها. ولكنها في رأي الهجّاءِ تجد العكس، تجد اللئيم الذي يبحث عن ضعفها وغفلتها ويحاول الترددَ إلى منزلها ويكرر الزيارة الممقوتة لها حتى يحقق مطامع نفسه اللئيمة، ويلطخ الشرف الأشم، إنها صورة يبعثها خيال الغضب، فيجسم قبح الممارسة السلوكية الخاطئة والأخلاق المنحرفة وإن لم يحدث شيء من ذلك إلا في خيال الشاعر الذي أثار الغضب حفيظته فهجا، ولا يعني أن ذلك يحدث في واقع الحياة، وحدوثه أو عدم حدوثه لا يغير شؤم النظرة إليه ولا يعني الباحث شيئًا من ذلك. إنما الذي يعنيه الدلالة الاجتماعية والرصد لثورة الغضب ومحاولة قتل الروح المعنوية لدى المهجو، فلا يجد الهجّاءُ غير هذا القار الأسود الذي يرفع درجة حرارته إلى حدِّ الغليان ثم يصبه على دماغ المهجو ليذيبه تحت ضرباته الموجعة وأخلاقه الثائرة غضبًا ثم يسحقه اجتماعيًا. والهجاء يبعث

(٢) طبقات فحول الشعراء، جـ١، ص٧١٣.

الشاعر إلى البحث عن صور مرفوضة اجتماعيًا فيقدح غضبه زناد الشرر فيها ويشعل فتيل العار فيدمغ أعداءه بسوء الأخلاق ويصفهم بقبيح المنظر وكأنه شاهد على ما يقوم به المهجو من سلوك الانحراف يقول أوس بن حجر هاجيًا بني سعد بن مالك[(١)]:

طُلُسُ العِشَاءِ إِذَا مَا جَنَّ لَيْلُهُمْ    بِالمُنْدِيَاتِ إِلَى جَارَاتِهِمْ دُلُفُ
وَالفَارِسِيَّةُ فِيهِمْ غَيْرُ مُنْكَرَةٍ    فَكُلُّهُمْ لأَبِيهِ ضَيْزَنٌ سَلِفُ

وكذلك يفعل أبو جلدة بن حبيب فيقول فيمن استحق هجاءه[(٢)]:

إِذَا اعْتَكَرَتْ ظَلْمَاءُ لَيلٍ وَنَوَّمَتْ    عُيُونُ رِجَالٍ وَاسْتَلَذُّوا المضَاجِعَا
سَمَا نَحْوَ جَارِ البَيْتِ يَسْتَامُ عِرْسَهُ    يَزِيدُ دَبِيبًا لِلمُعَانَاةِ قَابِعًا
وَإِنْ أَمْكَنَتْهُ جَارَةُ البَيْتِ أَوْ زَنَتْ    إِلَيْهِ أَتَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ طَائِعًا

كذلك تكون صورة المكث والاستئناس في بيت الجارة وفي حوائها من أقبح السلوك ولا يفعل ذلك في رأي الشاعر غير من لا يرعى للجوار حرمة ولا ينظر إلى مكارم الأخلاق، ويبقى إن فعل ذلك هدفًا لألسنة الشعراء حتى يسلبوا منه كرامته التي لم يرعها وخلقه الذي لم يصنه ولم يجْد جرير عندما أراد هجاء الفرزدق إلا أنه ينادم في منزل جارته ويشارك غيره الحديث إليها والتبسط عندها، والأولى به لو كان ذا غيرة أن يغار على جارته من نفسه ثم يبعد عنها من يطمع بشيء لا ترضاه كرامة الجار الكريم، فيقول:[(٣)]

حُمَيْدَةُ كَانَتْ لِلفَرَزْدَقِ جَارَةً    يُنَادِمُ حَوْطًا عِنْدَهَا وَالْمُقَطَّعَا

إن هذه المنادمة عار الأبد وخزي الدنيا وفضيحة لا يغفرها العدو لخصمه، فيرفع صوته معلنًا الانهيار التام في أخلاق الخصم الذي رضي أن يرى جارته

---

(١) ديوان أوس، ص٧٥.
(٢) كتاب الأغاني، ج١١، ص٣٠٧.
(٣) ديوان جرير بن الخطفى، ص٤.

يحيط بها الرجال ويتنادم في منزلها العـدد منهم وفيهم الجار الـذي تجب عليه حمايتها وصون عفتها.

**الجارة الطاعمة :**

لا شك أن الشح في الجزيرة العربية وندرة مصادر الرزق وما يتعـرض له المجتمع العربي فيها من جوع وعوز وفاقة في كثير من الأوقات يجعل الإطعام الذي يمسك الرمق في بعض الأحيان معجزة يتحدث الناس عنها ويفخـر بها الفاخرون، وإذا حدث أن أجدبت الجزيرة العربية وأبطأ الغيث وهلك الأخضر واليابس، أصبحت لقمة الطعام تعادل قناطر الذهب[1]، وأكثر الناس تعرضًا لمس الجوع هم العامة. والطارئون على الحي، فعليهم يقع النصيب الأوفر من قسوة الحياة، وأول من يتعرض للعوز هي الجارة التي بعدت عن حيها وأقربائها وأهل الرأفة بها، لأن الغريب في الحي يواري فقره ولا يود أن يعلم أحد عن ضعفه وخصاصته حتى لا يكون ذلك سببًا بنزوله من كبرياء الترفع، وصورة التجمل، والمرأة الجارة أحوج إلى ذلك التجمل وأولى به، لهذا فإن الجار الكريم يشعر بالإثم إن جاعت بجواره وأهله شباع يقول عدي بن زيد[2] :

وَبَسْـلٌ أَنْ أَرَى جَـارَاتِ بَيْتِي  يَجُعْنَ وَأَنْ أَرَى أَهْلِي شِبَـاعَـا

فالمشاركة التامة يوجبها الجوار على الكريم وتفرضها مروءته ولا سيما عندما يعرف عوز الجارة وحاجتها التي لن تكون ظاهرة معروفة، لا سيما في اشتداد الأزمات، وقد أحس الشعراء الذين تعرضوا للحديث عن الجوار الشامل بهذه الخاصية وتحدثوا عن موقفهم في حال البؤس وما ينعمون به على الجارة حتى تغنى فلا ترى بها خصاصة يقول حاتم الطائي[3] :

---

(١) ذكر الأستاذ حسين زيدان في ذكرياته عن العهود الثلاثة أن بيتين في المدينة المنورة كل منهما مكون من ثلاثة أدوار بيع كل منهما قبل خمسين عامًا بكيس أرز. انظر : محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة، ص١٠٨.

(٢) ديوان عدي بن زيد، ص١٤٦.

(٣) ديوان حاتم الطائي، ص٢٢٣.

وَإِنِّي لأَخْـزَى أَنْ تُـرَى بِيَ بِـطْنَـةٌ ... وَجَـارَاتُ بَيْتِي طَـاوِيَـاتٌ وَنُحَّفُ
وَإِنِي لأُغْشِيْ أَبْعَـدَ الحَيِّ جَفْنَـتِيْ ... إِذَا حَـرَّكَ الأَطْنَابَ نَكْبَـاءُ حَـرْجَفُ
وَأَجْعَـلُ مَـالِيْ دُونَ عِـرْضِي وَإِنَّنِيْ ... كَـذَلِكُـمْ مِـمَّـا أُفِـيـدُ وَأُتْـلِفُ

ويقول في حقِّ الجارة وعوز الحياة التي تتعرض لها ومأساة الفقر الملازم(١):

أُشَاوِرُ نَفْسَ الجُودِ حَتَّى تُطِيعَنِي ... وَأَتْرُكُ نَفْسَ البُخْلِ مَا أَسْتَشِيرُهَا
وَلَيْسَ عَلَى نَارِي حِجَابٌ يُكِنُّهَا ... لِمسْتَوْبِصٍ لَيْلًا، وَلَكِنْ أُنِيـرُهَا
فَلَا وَأَبِيكِ مَا يَظَلُّ ابْنُ جَـارَتِي ... يَطُوفُ حَوَالَي قِدْرِنَا مَا يَطُورُهَا

لقد جعل ابن الجارة أحد أهل البيت يشعر العربي نحوه بشعور الأب الحنون فهو يأكل معه لا يمنع عنه القدر ولا يغلق عنه المنزل، ولا تكتمل مروءة الكريم حتى تكون له هذه الصفة. والجارة هي الأخرى يجب أن تحظى ببره وعطفه فيصل إليها خيره دون شره وطعامه دون كلامه. وهذا هو ما يتفق مع ما أخذ حاتم الطائي نفسه به من الحديث عن الكرم وتفصيل الأخبار عن ضروب الجود وشرحه في شعره لميل طبعه إلى الكرم والبذل فينال الضيف من شعره نصيب وينال الجار من شعره نصيب ويجعل للجارة نصيبًا يتحدث عن أخلاقه وما أخذ نفسه به من ضروب الإكرام. ويأخذ جرير المقابلة في معنى لطيف آخر ويقارن بين طلب الفضل والتطلع إليه وإدراكه وإن بعد، وفي مقابل ذلك قصر الخطو وكف وسائل الاتصال عن الجارة ولو كانت ملاصقة قريبة ثم يستثني ما لابد من استثنائه في حقها عندما تحتاج الطعام ويمسها الجوع فيأتي شعره شاهدًا على السلوك الكريم نحو خلقه وحفاظه على ذمام الجارة(٢):

قَدْ أَطْلُبُ الحَاجَةَ القُصْوَى فَأُدْرِكُهَا ... وَلَسْتُ لِـلجَـارَةِ الـدُّنْيَـا بِـزَوَّارِ
إِلَّا بِـغِـرٍ مِـنْ الـشِّـيـزَى مُـكَـلَّلَةٍ ... يُجْرِي السَّدِيفَ عَلَيْهَا المِرْبَعُ الوَارِي

(١) ديوان حاتم الطائي، ص٤٧.
(٢) ديوان جرير، ص٢٤٠.

ويجمع لبيد لجارة ممدوحة ما تطمع فيه كل امرأة، فلها منه ألاَّ تجوع وهي بجانبه وألاَّ تنالها مذمة وألاَّ يساء معها حديث ولا يغتابها أحد في غيبتها أو حضورها[1] :

وَجَـارَتُـهُ إِذَا حَـلَّتْ إِلَـيْـهِ    لَهَـا نَفَـلٌ وَحَظٌّ فِي السَّنَـامِ
فَـإِنْ تَقْعُـدْ فَمُكْـرَمَـةٌ حَصَـانٌ    وَإِنْ تَـظْعَنْ فَمُحْسَنَـةُ الكَـلَامِ

كما ينصح على إكرام المرأة الجارة ويحث عليه ويدعو له ويبشر به ويجعل ذلك درسًا تعليميًّا يلقنه من يسدي لـه النصح حتى تكتمـل صورة المروءة عنده فيقول[2] :

وَعَـفِّـفْ عَـنْ الـجَـارَاتِ    وامْنَحْهُنَّ مَيْسَـرَكَ السَّمِينَا

ويفخر طرفة بن العبد بنفسه وقومه فيجعل منـاط فخره إكـرام الجار والجارة وحمايتها فيقول[3] :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَـدْخُلُ الـذلُّ وَسْطَهَـا    وَيَـأْوِي إِلَيْهَـا المسْتَجِيـرُ فَيُعْصَمَـا
تَـرَى جَارَنَـا فِينَـا بِخَيْـر وَعِـرْسُـهُ،    وَجَـارَتُنَا بَسْـلاً عَلَى النَّاس مَحْـرَمَا

ويتحدى الأعشى أعداءه بأسلوب استنكاري تهكمي فيقول[4] :

أَجْـارَتُكُمْ بَسْـلٌ عَلَيْنَـا مُحَـرَّمٌ    وَجَـارَتُنَـا حِـلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَـا

كـما يأتي المادحون لتـوظيف معنى احترام الجـارة وإشباعهـا في مدائحهم للأجواد وأهل الفضل يتوسلون إليهم بتحريك نسيم ريح المروءة والكرم حتى ينفح الممدوحون الشاعر بما يتطلع إليه من إكـرام يقول مسعـود بن خرشـة التميمي في مدح والي اليمامة من بني عقيل[5] :

حُصُـونُ بَنِي عُقَيْـلٍ كُـلُّ عَضْبٍ    إِذَا فَـزِعُـوا وَسَـابِغَـةُ الـدِّلَاصِ
وَمَـا الْجَارَاتُ عِنْدَ الْمَحْـلِ فِيهِمْ    وَلَـوْ كَثُـرَ الـدَّوَارِجُ بِـالْخِمَـاصِ

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص٢٠٤.
(٢) ديوان العامري، ص٣٢٤.
(٣) ديوان طرفة، ص١٩٤.
(٤) ديوان الأعشى، ص٢٢٥.
(٥) كتاب الأغاني، جـ٢١، ص٢٧٤.

فقد جعل الشاعر جارات بني عقيل لا يحتجن إلى حماية وإنما إلى الشبع والإطعام وقد تجاوز الشاعر المدح بحمايتهن إلى المدح بإطعامهن ورعايتهن في أيام المسغبة والجوع ولا شك أن الحماية من مسلمات القضية، وحقوق الجار، فهو لا يحتاج إلى ذكرها وتأكيدها ولكنه يذكر الجانب الآخر والواجب التطوعي وهو الإطعام في وقت الشدة والفقر واشتداد الفاقة والعوز الذي تعانيه المرأة المضاعة في الظرف القاسي للحياة.

ولا يقف مدح الجار عند ملء البطن من الطعام بل يصل إلى محاولة الإنعام بفضل ما عنده وترفيه الجارة بما لا يتوافر في أزمات القوت ففي مواسم الجفاف ونضوب المصدر الأساسي للطعام يكون القوت من اللحم هو آخر موجود عند عرب الجزيرة. فالإبل هي المال ولحمها هو الطعام الذي يلجأ إليه المعسرون في الأزمات وشح القوت، فلا يصبرون عليه كثيرًا إلا أن يقطعوه بنوع آخر من القوت الذي لا يتوافر إلا عند القليلين منهم، وقد فطن الشعراء إلى الحال التي تكون عليها الجارة عندما لا تجد طعامًا غير اللحم وقد يكون لحم جزور هزيل فتحتاج الجارة إلى البر بها والتلطف الذي لا يغفل عنه الجار الكريم وقد مدح الحطيئة قومًا يبرون بجاراتهم فقال(١):

وَمَـا تَـتَّـامُ جَـارَةُ آلِ لأْيٍ ... وَلَكِنْ يَضْمَنُـونَ لَهَـا قِـرَاهَـا
كِـرَامٌ يَفْضُلُونَ قُـرُومَ سَعْـدٍ ... أُوْلِيْ أَحْسَابِهَـا وَأُوْلِي نُهَـاهَـا

التتام هو الاستمرار على أكل اللحم قوتًا لا يجد الآكل غيره طعامًا، فتشتد حاجته لما يقطع به اللحم من أصناف الطعام الأخرى. والحطيئة يصف ضربًا من التلطف في حقوق الجارة والحرص على ألا تمسها مسغبة ولا حرمان في جوار الكريم الذي يرعاها ويبحث عن خصاصتها وفقرها في وقت لا يتوافر فيه خير كثير. أما هدبة بن الخشرم العذري فيجعل جارة العربي الكريم تملك ماله كله وهو لها متى قل الضرع وهزلت الإبل فلا لبن ولا طعام، وهبت ريح الشتاء باردة تجيع البطون الخاوية وتضاعف معاناة الفقير ولا سيما الجارة التي لا تجرؤ

---

(١) ديوان الحطيئة، ص٩٧.

على التصريح بحاجتها فيكون الجار هنا واقفًا يصد العوز عنها كما يصد الأعداء، وكما يدفع الأبطال عن الحوزة فيقول[1] :

لِجَارَتِهِ الدُّنْيَا، وَلِلْجَانِبِ العِدَى إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ وَهْيَ حُدْبٌ شَوَاسِفُ
وَبَادَرَهَا قَصْرَ العَشِيَّةِ قَرْمُهَا ذُرَى البَيْتِ يَغْشَاهُ مِنَ القُرِّ آزِفُ
يَبِيتُ عَنْ الجِيرَانِ مَعْزِبَ جَهْلِهِ مُرِيحَ حَوَاشِي الْحُلْمِ لِلْخَيْرِ وَاصِفُ

**الجارة الجائعة :**

ولابد من إجراء المقابلة، مقابلة خلق الكريم المعطاء البار بجارته بخلق الشحيح الذي يغلب عليه إثرة نفسه على ما سواها، فيشبع ويغط بنوم السعادة بينما جاراته يعصف في أحشائهن ألم الجوع. فلا يهتم ولا يشعر بالحاجة ولا يساعد في إطعام ولا إكرام فهو منصرف إلى نفسه عامل لهواه لا تأخذه المروءة في الدرب الشاق الذي يسلكه غيره من كرام الناس. هذا الخلق الذي يوجد في بعض السلوك الإنساني يضعه الشعر بزاوية مغلقة ثم يكشف عن دمامته وقبحه للناس حتى يظهر الواقع الذي يحاول البخيل إخفاءه، والظهور أمام الملأ بأخلاق الكرام، لكن يأبى الشاعر المداهنة مع هذا الصنف من الناس ويرفض الصلح مع أخلاقهم، ويجعل من لسانه وشعره محكًّا يكشف ما تخفيه الطباع في هؤلاء القوم الذين نسوا واجبات الجوار وحقوق الرعاية. إذا كلحت السنون وعصبت الحياة بقسوتها، وقل العطاء والخير عند الكثيرين من الناس، ولم يبق غير تَمَيُّزِ الجبلة والطبع الذي لا يتغير ولا يصدأ مع عوامل التعرية في حياة المجتمع الفقير البائس، وكل مجتمع الجزيرة في ذلك الوقت فقير بائس. ولهذا فإن التقريع بالبخل يقع حادًا على الرؤوس المطأطئة تحت شح النفس والخوف من تقلب الأحوال وانصراف الدهر يقول الأعشى في قوم هذه حالهم[2] :

تَبِيتُوْنَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بُطُوْنُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

حالان مختلفان في رأي الشاعر، حال الجار الذي ينعم بامتلاء البطن

---

(١) شعر هدبة بن الخشرم، ص١٢٣.

(٢) كتاب الأغاني، جـ٩، ص١١٧.

واندحاق السرة يشبع ثم ينام قرير العين وإلى جنبه وفي كسر بيته امرأة غريبة جائعة يمخض الجوع أمعاءها، فلا تجد عونًا ولا يسمع لها نداء، فيلقي وشاح البخل على هؤلاء البخلاء الذين لم ينهضوا بواجبات الجوار ولم يرعوا حقوقه المشروعة، وقد صبَّ عليهم خزي الزمن وعار الأبد عندما لم ينهضوا بجاراتهم وحقوقها وأقل الحقوق في رأي الشاعر أن تتم المساواة أو تنال الجارة كفاف العيش مع جيران تعيش بجوارهم وهم يتمتعون بالشبع والري فلا يصل خيرهم إليها، وينتقل الشعر باحثًا عن صورة أخرى من صور الشح التي يهاجمها النبيل ويرفض معناها الكريم ويعاقب عليها الشعر فيجد ملمحًا آخر يقوله فيه(1).

هَل غَيْرُ عَدْوِكُمْ عَلَى جَارَاتِكُمْ لِبُطُوْنِكُمْ مَلَثَ الظَّلَامِ دَوَاعِي
فَإِذَا هُمُ طَعِمُوا فَأَلَامُ طَاعِمٍ وَإِذَا هُمُ جَاعَوْا فَشَرُّ جِيَاعِ

فقد جعل السبب الذي وجهه إلى هؤلاء القوم عارًا إذ إنهم لا يجدون غير الجارة يعتدون عليها تحت سديف الليل فلا تحترم حرماتها ولا يرتفع سوء النية عنها ولا يبعد مدار القصد منها. وقد يصل بهم الأمر إلى حد النزق في رأيه فإن جاعوا فشر الجياع وإن شبعوا فشر شبع في بطونهم يدفعهم إلى كل رذيلة ويبعد بهم عن كل فضيلة ويأخذ بهم إلى مالا يحمد من القول والعمل.

ولا شك أن المعنى الذي دار حوله الشعر هنا نموذج قليل ومثال للتدليل على ما يريد العربي أن تكون عليه أخلاقه. وهو شاهد على قيمة مكارم الأخلاق التي يؤمن بها أشد الإيمان ولا يتنازل عن شيء منها فيما يواجه من تغيرات الحياة وصروف الدهر، لذلك كان في شعره مهاجمًا عنيفًا لكل ضعف يطرأ على سلوك المرء نحو اهتزاز العقيدة الراسخة بحق الجارة وحرمتها ووجوب الوفاء لها والبر بها كل البر حتى لو جاع هو ومن حوله فإن ذلك لا يكون عذرًا مقبولاً يخفف عنه واجب الاهتمام والرعاية بها.

---

(1) كتاب النوادر، ص٤٣٤.

# الخاتمة

وبعـــد !

هذه نهاية رحلة حاولت أن تسير مع موروث عربي أصيل وخلق إسلامي نبيل، جاء في تقاليد العرب ورعته أعرافهم الاجتماعية التي خلدها الشعراء في التاريخ، وقد فرضت طبيعة حياتهم الخضوع لنمط من التعامل في بيئة الصحراء التي جعلت حاجة الإنسان فيها إلى الأمن والاستقرار ضرورة، فكان الجوار عند العرب. وقد اتخذت الرحلة الشعر زادا تقطع به هجير الصحراء وجعلته دليلا يقود إلى موارد المروءة في أخلاق أهل الفضل المحافظين على الحرم فنخلته لتستخلص منه الموقف المتفق عليه عند الجميع. وطافت في حدائق الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي مضطلعة بأعباء استقصاء فكرة الجوار وتتبعها في المجموعات الشعرية ودواوين الشعراء، ولم تقف عند مشهوريهم، بل أخذت بالاعتبار عدم اغفال ما روي حتى للمغمورين من شعراء هذه الفترة، ولم تهمل من الشعر إلا ما كان تكرارا لفكرة أو ترديدا لمعنى.

عند ذاك اختارت أقوى الأساليب وأنبل المشاعر وأصدق التعابير فأوردتها لتكتفي بها عما سواها. والبحث في موضوع الجوار يبدو للنظرة العجلى أنه سهل ميسور بحكم تناوله موضوعا ألفه سكان الجزيرة وأصبح مما يميز أخلاقهم، إلا أن الخوض فيه، يضع الباحث أمام حقيقة تعكس صعوبة تنسيق تلك الصورة المختلفة التي يرسمها الشعراء مع إشكالية تحليل الموقف الإنساني في ظل ظروف متقلبة وأعراف اجتماعية تسودها القوة.

وقد كان هدف الدراسة محاولة التعرف على مكنون الضمير العربي الذي وافقت فيه الفطرة آداب الإسلام فعزز مبدأ علاقة الجوار وأيدها دون شطط.

ولعل هذه الدراسة قد وفقت في وضع رأي يفسر شعور العرب، وموقفهم من الجوار، وتحليل أحاسيسهم من خلال ما أثر عنهم من الشعر، وما روي لهم من مواقف الصبر والتضحية ولم تتأثر بعاطفة معينة. كما أنها حاولت ألا تخرج عن إطار الموضوعية في معالجة النصوص وألا تحمل المعاني أكثر مما تحتمل، حتى لا تقع في تمحل يسيء إلى مرادها من إبراز العادات الجميلة في الشعر العربي الأصيل.

* * *

# المصادر والمراجع


**أساس البلاغة :**

تأليف : جار الله محمود بن عمر الزمخشري

التاريخ : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

نشر : دار بيروت للطباعة

**أسواق العرب :**

تأليف : سعيد الأفغاني

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٩٦٠ م

نشر : دار الفكر - دمشق

**إعجاز القرآن :**

تأليف : محمد بن الطيب الباقلاني

تحقيق : أحمد صقر

الطبعة : الرابعة

التاريخ : ١٩٦٣ م

نشر : دار المعارف

**الأمالي :**

تأليف : أبو علي القالي

نشر : دار الكتاب العربي

**أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره :**

المحقق : بهجة عبد الغفور الحديثي

التاريخ : ١٩٧٥ م
الناشر : وزارة الاعلام - بغداد.

**أيام العرب في الجاهلية :**
تأليف : محمد أحمد جاد المولى وآخرين
نشر : دار إحياء الكتب العربية
تاريخ المقدمة : ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م.

**بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب :**
تأليف : محمود شكري الألوسي البغدادي
تحقيق : محمد بهجة الأثري
الطبعة : الثانية
التاريخ : ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

**بهجة المجالس وأنس المجالس**
تأليف : يوسف النمري القرطبي
تحقيق : محمد موسى الخولي
نشر : دار الكتب العلمية، بيروت.
التاريخ : ١٩٨١ م

**البيان والتبيين : الجاحظ**
تحقيق : عبد السلام هارون
الطبعة : بدون
بلا تاريخ
نشر : دار الجيل، بيروت

**تاريخ الأدب العربي :**
تأليف : شوقي ضيف
العصر الجاهلي

الطبعة : الثامنة
الناشر : دار المعارف

**تاريخ الرسل والملوك :**
تأليف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
نشر : دار المعارف بمصر، ١٩٦١ م

**تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري :**
تحقيق : عبد السلام هارون - وعلي محمد البجاوي
الدار المصرية للتأليف والترجمة. ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

**الجامع لأحكام القرآن.**
تأليف : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني
الطبعة : الثالثة
التاريخ : ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
نشر : دار الكتاب العربي للطباعة

**جامع البيان عن تأويل القرآن**
تأليف : محمد بن جرير الطبري
تحقيق : محمود أحمد شاكر
التاريخ : ١٩٧٤ م
نشر : دار المعارف بمصر

**حضارة العرب في عصر الجاهلية :**
تأليف : حسين الحاج حسن
الطبعة : الأولى
التاريخ : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م
نشر : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

**حق الجار للذهبي**
الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد شمس الديب الذهبي الدمشقي.
تحقيق : أبي اسماعيل هشام بن اسماعيل السقا.
مراجعة : أبي عبد الله، محمود بن محمد الحداد
تاريخ : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
نشر : دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.

**حق الجار :**
تأليف : طه عبد الله العفيفي
نشر : دار الاعتصام

**الحياة العربية من الشعر الجاهلي :**
تأليف : أحمد محمد الحوفي
التاريخ : ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
الطبعة : الخامسة
الناشر : دار نهضة مصر

**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**
تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي
تحقيق : عبد السلام هارون
الطبعة : الثانية
بلا تاريخ
نشر : الهيئة المصرية للكتاب

**ملاحظة مهمة :** ذكر الطبعة للدواوين كافة لا يعني أن الاعتماد كله على الطبعة المذكورة هنا بل سنستعمل طبعات أخرى في بعض الأحيان إذ إن الشعرجمع على مدى زمن طويل وقد تغيرت بعض الطبعات أو نقلت الأبيات من طبعات أخرى، ويبقى المعول على الرجوع إلى شعر الشاعر.

**ديوان أبي الأسود الدؤلي**

تحقيق : محمد حسن ال ياسين

التاريخ : ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

نشر : مكتبة النهضة ببغداد.

ديوان أبي الطيب المتنبي :

شرح أبي البقاء العكبري

تحقيق : مصطفى السقا وآخرين

التاريخ : بلا تاريخ

الناشر : دار المعارف - بيروت

**ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس :**

المحقق : محمد محمد حسين

التاريخ : ١٩٧٤ م

الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت

**ديوان أعشى همدان وأخباره**

تحقيق : حسن عيسى أبو ياسين

نشر : دار العلوم في الرياض

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

**ديوان امرىء القيس :**

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة : الرابعة، سلسلة ذخائر العرب : ٢٤ .

نشر : دار المعارف بمصر وكذلك طبعة حسن السندوبي.

**ديوان أوس بن حجر :**
المحقق : د. محمد يوسف نجم
الطبعة : الثالثة
التاريخ : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
دار صادر، بيروت

**ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي :**
المحقق : عزة حسن
التاريخ : ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق.

**ديوان تأبط شرا وأخباره**
المحقق علي ذو الفقار شاكر
التاريخ : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
الطبعة : الأولى
الناشر : دار الغرب الإسلامي - بيروت

**ديوان جرير :**
طبعة : دار صادر
تاريخ : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
وانظر تحقيق نعمان طه
التاريخ : بلا تاريخ
نشر : دار المعارف بمصر

**ديوان الحطيئة، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني.**
تحقيق : نعمان أمين طه
الطبعة : الأولى
التاريخ : ١٣٧٨ هـ - ١٩٨٥ م
الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.

**ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي**

تحقيق : عبد الله عبد الرحيم عسيلان

تاريخ : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي وكذلك شرح المرزوقي

**ديوان حميد بن ثور الهلالي**

المحقق : عبد العزيز الميمني

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.

الناشر : مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.

**ديوان الخنساء :**

الطبعة : السابعة

التاريخ : ١٩٧٨ م

الناشر : دار الأندلس - بيروت

**ديوان الراعي النميري**

تحقيق : راينهرت ڤايپرت

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م

نشر : دار فرانتس، بيروت

**ديوان سحيم عبد بني الحسحاس**

المحقق : عبد العزيز الميمني

التاريخ : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة.

**ديوان سراقة البارقي**

حققه وشرحه : حسين نصار

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

**ديوان سلامة بن جندل :**

المحقق : فخر الدين قباوة

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .

الناشر : المكتبة العربية محمد تلاليني - حلب

**ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره**

رواية هشام بن محمد الكلبي

صنعة : يحيى بن مدرك الطائي

دراسة وتحقيق : الدكتور عادل سليمان جمال

الناشر : مطبعة المدني

بلا تاريخ

**ديوان طرفة بن العبد :**

شرح الأعلم الشنتمري

المحقق : درية الخطيب ولطفي الصقال

التاريخ : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

الناشر : مجمع اللغة العربية بدمشق

**ديوان طفيل الغنوي :**

المحقق : محمد عبد القادر أحمد

التاريخ : ١٩٦٨ م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الكتاب الجديد

**ديوان عامر بن الطفيل :**

رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري

الناشر : دار صادر، بيروت

التاريخ : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

**ديوان عبيد بن الأبرص :**

تحقيق : حسين نصار

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م

الناشر : شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

**ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات :**

تحقيق : محمد يوسف نجم

التاريخ : ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م

نشر : دار صادر، بيروت

**ديوان عروة بن الورد :**

تحقيق وشرح : كرم البستاني

نشر : مكتبة صادر - بيروت

التاريخ : ١٩٥٣ م

**ديوان علقمة الفحل : بشرح الشنتمري**

حققه : لطفي الصقال ودرية الخطيب

راجعه : فخر الدين قباوة

الناشر : دار الكتاب العربي بحلب

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

ديوان عنترة :
تحقيق : كرم البستاني
التاريخ : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
نشر : دار بيروت للطباعة والنشر

ديوان القتال الكلابي :
حققه وقدم له : إحسان عباس
نشر : دار الثقافة - بيروت.
تاريخ : ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

ديوان قيس بن الخطيم :
حققه : د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب
نشر : مطبعة العاني - بغداد
الطبعة : الأولى
تاريخ : ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م.

ديوان كثير عزة :
تحقيق : إحسان عباس
التاريخ : ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م
نشر : دار الثقافة - بيروت

ديوان مسكين الدارمي :
جمع وتحقيق : عبد الله الجبوري وآخر.
الطبعة : الأولى
التاريخ : ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م
نشر : دار البصري

ديوان النابغة الذبياني :
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

نشر : دار المعارف بمصر
بلا تاريخ

**ديوان الهذليين :**
المحقق : أحمد الزين، محمد أبو الوفاء
التاريخ : ١٣٨٥ هـ - ١٩٧٥ م
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة

**شرح ديوان زهير بن أبي سلمى :**
المؤلف : أبو العباس ثعلب
التاريخ : ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م
للناشر : الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة.

**شرح ديوان عنترة بن شداد :**
المحقق : عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي
بلا تاريخ
الناشر : المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة

**شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري :**
حققه وقدم له : إحسان عباس
الكويت، ١٩٦٢ م.

**شعرالأحوض الأنصاري :**
جمعة وحققه : عادل سليمان جمال
نشر : الهيئة المصرية للتأليف
تاريخ : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

**شعر السموءل :**
تحقيق : عيسى سابا
التاريخ : ١٩٥١ م

الناشر : مكتبة صادر - بيروت.

**شعر عمر بن لجأ التيمي :**
تحقيق وجمع : يحيى الجبوري
التاريخ : ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
نشر : جامعة بغداد

**شعر المتوكل الليثي :**
تحقيق : يحيى الجبوري
نشر : مكتبة الأندلس - بغداد

**شعر المثقب العبدي :**
تحقيق : محمد حسن آل ياسين
نشر : مطبعة المعارف - بغداد.
تاريخ : ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

**شعر هدبة بن الخشرم العذري :**
جمع وتحقيق : يحيى الجبوري
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
تاريخ : ١٩٧٦ م.

**شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الإسلامية**
تأليف : وفاء فهمي السنديوني
التاريخ : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
الناشر : دار العلوم بالرياض.

**الشعراء الصعاليك في العصر الأموي :**
تأليف : حسين عطوان
بلا تاريخ
الناشر : دار المعارف

**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي :**
تأليف : يوسف خليف
الطبعة : بدون
بلا تاريخ
الناشر : دار المعارف

**الصحاح : تارج اللغة وصحاح العربية :**
تأليف : اسماعيل بن حماد الجوهري
تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار
الطبعة : الثانية
التاريخ : ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

**طبقات فحول الشعراء :**
تأليف : محمد بن سلام الجمحي
تحقيق : محمود محمد شاكر
التاريخ : ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

**الطرائف الأدبية :**
المحقق : عبد العزيز الميمني
بلا تاريخ
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**
تأليف : أبي الحسن بن رشيق القيرواني
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
الطبعة : الرابعة
التاريخ : ١٩٧٢ م
نشر : دار الجيل

**قصائد جاهلية نادرة :**

المحقق يحيى الجبوري

التاريخ : ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

**كتاب الأغاني :**

تأليف : أبي الفرج الأصفهاني

الطبعة : الرابعة

التاريخ : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

نشر : الثقافة، بيروت

**كتاب الجيم :**

تأليف : أبي عمرو الشيباني

تحقيق : إبراهيم الأبياري

التاريخ : ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

نشر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

**كتاب النقائض : نقائض جرير والفرزدق**

طبع في مدينة ليدن المحروسة

تاريخ : ١٩٠٥ م. مصور عن طبعة بيفن.

**لسان العرب المحيط :**

تأليف : محمد بن مكرم بن منظور

إعداد : يوسف خياط

بلا تاريخ

نشر : دار لسان العرب.

**المحاسن والأضداد : أبو عثمان الجاحظ**

حققه : عاصم عيتاني

الطبعة : الأولى
التاريخ : ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
نشر : دار إحياء العلوم بيروت

**مسند الإمام أحمد بن حنبل :**
طبعة : المكتب الاسلامي
بلا تاريخ

**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :**
تأليف : جواد علي
الطبعة : الثالثة
التاريخ : ١٩٨٠ م
نشر : دار العلم للملايين، بيروت

**المفضليات :**
تأليف : المفضل بن محمد بن يعلىٰ الضبي
تحقيق : أحمد محمد شاكر
الطبعة : الثانية
دار المعارف، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

**مكارم الأخلاق ومعاليها :**
تأليف : محمد بن جعفر الخرائطي
بلا تاريخ

**من شيم العرب :**
المؤلف : فهد المارك
نشر : شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض
الطبعة : الرابعة
التاريخ : ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

**النوادر في اللغة :**

**تأليف : أبي زيد الأنصاري**

**تحقيق : محمد بن عبد القادر أحمد**

**الطبعة : الأولى**

**التاريخ : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.**

**نشر : دار الشروق، بيروت.**

# فهرس الأعلام


( أ )

الأبيرد الرياحي، ١٠٤.
أحمد بن حنبل، ٥، ٧٨.
أحمد الحوفي، ١٢.
الأحوص، ٤٥، ١٠١.
الأخنس بن شريق، ١٧.
بنو أسد، ٣١، ٧٧.
أسد بن كرز، ٥٠.
أبو الأسود، ٢٧، ٢٨.
الأعشى، ١٧، ٣١، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ٨٢، ٩٤، ١٠٢، ١١١، ١١٤.
الأعشى الهمداني ٢٥.
الأفوه الأودي، ٥٤.
إمـرؤ القيس، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٥٨، ٦٥، ٦٧، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٣.
أمية بن أبي الصلت ٣٦.
بنو أمية ٧٢.
أنس بن عاصم الأصم ٣١.
أنس بن عباس ٣١.
الأنصار ٦١.
بنو أنف الناقة ٦٧.
الأوس ٣١، ٣٢.
أوس بن حجر ١٠٨.

(ب)

بنو بدر ٦٤.
البراض الكنانى.
البرج بن مسهر الطائي ٨٣.
بشار بن بشر المجاشعي ٩٩.
بشر بن أبي خازم ٦٨، ٧٨، ٧٩، ٨٢.
بشر بن عليق الطائى ٨٣.
بشر بن عمرو ٧٤، ٧٧.
البسوس بنت منقذ ٣٠.
بنو بكر ٧٧.
أبو بكر ٦١.
أبو بكر بن أبي الدنيا ١٠.

(ت)

تبع ٣٢.
تميم بن زيد ٩٨، ٩٩.
تميم بن أبي بن مقبل ٩.

(ث)

بنو ثعل ٣١، ٣٥.
بنو ثعلبة ٣١.

## (ج)


ابن جرموز ٨٥.
جرير ٧٥، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٠٦.
جساس بن مرة ٣٠.
بنو جعفر ٦١، ٦٢، ٦٧، ٧٨.
أبو جلده بن حبيب ١٠٨.
أم جميل ١٦.
أبو جندب الهذلى ٤٨.
جواد على ١٣.
الجوهري ١٩.


## (ح)


حاجب بن زراره ٣١، ٣٢.
حاتم الطائي ٧، ٢٤، ٣٦، ٥١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠.
الحارث بن ظالم ١٨، ٣١، ٣٢.
حاطب بن قيس الأوسي ٣١.
حرب بن أمية ١٨.
حذيفة بن أنس الهذلي ٨٢.
حسين الحاج حسن ١٣.
حسين زيدان ١٠٩.
حسين عطوان ١١.
الحطيئة ٣٦، ٤٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٨١، ١٠٢، ١١٢.
بنو حمان ٦٦.
حميد بن ثور الهلالي ٣٥، ٤٦.


## (خ)


خالد بن جعفر بن كلاب العامري ٣١، ٣٢.
خداش بن زهير ١٦.
خذام بن زيد ٦٥.
أبو خراش الهذلي ٤٥.
الخزرج ٣١، ٣٢.
خليدة ٧٢.
خماعة بنت عوف ١٨.
الخنساء ٣٨، ٣٩، ٤١، ١٠١، ١٠٢.
بنو دارم ٨٣.
أبو ذؤيب ٨٣.
الذهبي ١٠، ٢٤.
الراعي النميرى ٢٦، ٣٤، ٤٦، ٧٥.
بنو رعل ٣١.
الزبرقان بن بدر ٦٦، ٦٧، ٧٢، ٨١.
الزبير بن العوام ٨٥، ٨٧.
زهير بن أبي سلمى ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٦٧، ٧١، ٨٠، ١٠٠.


## (س)


سبيعة بنت عبد شمس ١٨.
سراقة بن مالك ٢١، ٤٦.
سعد بن ضباء ٣١.
بنو سعد ٦١، ٦٢، ٦٧، ٧٢، ٨٥، ١٠٨.
ابن السكيت ٦٧.
أبو سلمه ١٦.
السموءل ٣٢، ٥٠.
سمير ٣١.

سلامة بن جندل ٥٣.
السليك بن السلكه ١٨.
سهيل بن عمرو ١٧، ١٨.

## (ش)

شبيب بن البرصاء ٢٤، ٣٣.
بنو شمجي ٨٠.
الشمردل ٢٧.
شوقى ضيف ١٢.

## (ص)

بنو الصيداء ٨٠.
ضرار بن الخطاب ١٦.
أبو طالب ١٦.
طرفة بن العبد ١٨، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٦٧، ٦٨، ٨٢، ١١١.
طفيل الغنوي ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٤، ٨٠، ١٠٠.
أبو الطمحان القيني ٨٤.
أبو الطيب ٦٣.

## (ع)

عامر بن الطفيل ٦٥.
عامر بن جوين ٣١.
بنو عامر ٣٢.
عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٩٩.
عبيد بن الأبرص ٤١، ٥٥، ٥٦، ٥٧.
عبيد بن عبد العزى السلاماني ٥٦، ٦٨.
عبيد الله بن زياد ١٩.
عبيد الله بن قيس الرقيات ٢٦، ٤٥، ٥٦.
عتيبة الحارث ٣١.
عتيبة بن مالك بن جعفر ٣١، ٧٦، ٧٧.
عدي بن الرقاع ٤٨.
عدي بن زيد ١٩.
العديل ٣٥.
عرابة الأوسي ٦٧.
عروة الرحال ١٧.
عروة بن الورد ٥٢، ١٠٥.
علقمة الفحل ٢٢، ٥٦.
عمر بن لجأ التيمى ٤٦، ٧٥.
عمر بن شأس الأسدى ٤٧.
عمرو بن أحمر الباهلى ٦٤.
عمرو بن هند ١٨، ٨٢.
عمير بن الأيهم ٣٣.
النابغة الذبيانى ٦٨، ٦٩.
عنترة ٧، ٨، ٤٧، ٤٩، ٧٩.
عياض بن دهيث ١٨.

## (ف)

أبو فراس الهذلي ٨٠.
الفرزدق ١٩، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ١٠٨.
فهد المارك ٦.
فكيهة ١٨.

## (ق)

القتال ٤٥.
القرطبى ٢٠، ٢١، ٢٣.

قريش ٧٤، ٩٥.
قيس بن الخطيم ٦٦، ٩٩.
قيس ٨٧.

(ك)

كثير عزة ٢٦، ١٠٠، ١٠١.
بنو كلاب ٣١، ٦٠.
كليب بن ربيعة ٣٠.
لبيد العامري ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٨٢، ١١١.
بنى لأي ٨٠.
مالك بن أنس ٩٥.
مالك بن الريب ٧٣.
المتوكل الليثى ٣٨، ٤٦.
المثقب العبدي ٥٣.
مجاشع ٨٥، ٨٦، ٨٧.
محمد بن جعفر الخرائطي ١٠.
المخبل السعدي ٧٢.
مروان القرض ١٨.
بنو مروان ٧٣.
مسعود بن خرشه ١١.
مسعود بن معتب الثقفي ١٨.
مسكين الدرامى ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٤٥، ٥٢، ٦٦، ١٠٤.
مصعب بن الزبير ٢٥.
المطعم بن عدي ١٨.
معاوية بن خرشة ٤٦.
معقل بن حماد البارقي ٤٥.
مقاس العائذى ٧٢.
المهاجرين ٦١.
النعر بن الزمام ٨٥.
نعمان محمد طه ٦٤، ٦٧.
بنو هاشم ٢٠.
هدبة بن الخشرم ٢٧، ٤٤، ١١٣.
هرم بن سنان ٦٧.
أبو هريرة ٢٤.
هزال ٧٢.
هلال بن خثعم ٩٩.
هوذة بن على ١٠٢
وفاء السنديونى ١٣.
يزيد بن حمدان السكوني ٥٣.
يزيد بن معاوية ١٩.
يزيد بن مفرغ الحميرى ٧٣، ٧٤.
يوسف خليف ١١.

# فهرس الشعر

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| بعثرة | وشاء | الحطيئة | ٣٦ |
| جوار | والبلاء | زهير بن أبي سلمى | ٣٦ |
| ألم | عواء | الحطيئة | ٨١ |
| أخرجت | حقبا | الحطيئة | ٦٨ |
| ولانخذل | عقربا | هدبة بن الخشرم | ٤٤ |
| ردوا | ذهبا | امرؤ القيس | ٦٨ |
| أجيران | العيابا | جرير | ٨٦ |
| يقول | المصاب | جرير | ٨٦ |
| لعمري | تغلب | الحارث بن ظالم | ٣٢ |
| ألا | بمصعب | الأعشى الهمذاني | ٢٥ |
| وما | جانب | حاتم الطائي | ٩٧ |
| ثنتان | الجنب | الأحوص | ١٠١ |
| إذا | الذنوب | بشر بن أبي حازم | ٧٩ |
| قد | النيب | سلامة بن جندل | ٥٣ |
| الرفيئين | المغيب | الأعشى | ٥٧ |
| قالت | ألباب | جرير | ٨٦ |
| أتتنى | عقارب | مسكين الدرامي | ٢٦ |
| ولا | عقاربه | عروة بن الورد | ١٠٥ |
| وإني | اغتيابها | هلال بن خثعم | ٩٩ |
| أتعجب | نعجب | الأعشى | ٤٠ |
| وصاحب | جانب | كثير عزة | ٢٧ |
| لله | كلب | بشر بن أبي خازم | ٧٠ |
| يغشاهم | جنب | طرفة بن العبد | ٥٦ |
| فلا | غريب | علقمة الفحل | ٢٢ |
| وإني | الغريب | هدبة الخشرم | ٤٥ |
| ترى | السبب | حميد بن ثور الهلالي | ٣٥ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| متى | النسب | حميد بن ثور الهلالي | ٤٤ |
| بدلت | معاقب | عبيد الله بن قيس الرقيات | ٧٥ |
| فنعم | هنات | البرج بن مسهر الطائي | ٨٣ |
| إذا | الحتات | جرير | ٨٦ |
| جزى | فزلت | طفيل الغنوي | ٦٠ |
| فتشكو | تجنت | أبو الأسود الدؤلي | ٢٨ |
| إذا | خفيت | حاتم الطائي | ٩٧ |
| فإن | حميت | عروة بن الورد | ٥٢ |
| فأحمي | حميت | السموءل | ٥٠ |
| وإني | أبهج | عنترة | ٤٩ |
| أشري | ألواح | عبيد بن الأبرص | ٥٧ |
| للجار | بالجوائح | الخنساء | ٤١ |
| قدحان | ممنوح | عروة بن الورد | ٥٢ |
| فما | نصيح | أبو ذؤيب الهذلى | ٨٣ |
| ولا | تأبدا | الأعشى | ٩٥ |
| أتيت | جامدًا | أعشى بنى قيس | ٢٢ |
| ولا | تخويدًا | الخنساء | ١٠١ |
| فأصبح | رمادا | جرير | ٨٦ |
| وجدت | بمعهدي | عبيد بن الأبرص | ٥٧ |
| فواذلّ | بعدي | عنترة | ٤٩ |
| فبعدًا | يبعد | جرير | ٨٦ |
| فأقسمت | يغرد | حاتم | ٩٧ |
| هديكم | أحمد | عنترة | ٤٩ |
| جاورت | يحمد | الحطيئة | ٥٩ |
| يدل | سدادها | شبيب بن البرصاء | ١٠٢،٣٣ |
| ترى | مرادها | شبيب بن البرصاء | ٢٤ |
| بل | مكدود | معاوية بن مالك | ٤٦ |
| فإذا | معهود | عروة بن الورد | ٥٣ |
| والست | شهود | عقيل بن علفة | ٩٨ |
| أجيران | القهود | جرير | ٨٧ |
| وإن | الجارا | أبو الأسود الدؤلي | ٢٨ |
| غروا | استمرارا | جرير | ٨٧ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| وما تتّام | قراها | الحطيئة | ١١٢ |
| فما | وأغدرا | جرير | ٨٨ |
| ألم | المضفرا | حزيفة بن أنس الهذلي | ٨٢ |
| أعمرو | مجاورًا | طرفة بن العبد | ٨٢ |
| أليس | مجاورًا | امرؤ القيس | ٨٣ |
| غدرت | جديرًا | بشر بن أبي خازم | ٨٢ |
| ذنابي | فقيرًا | بشر بن أبي خازم | ٧٨ |
| إذا | تخيرًا | حاتم الطائي | ٥١،٢٤ |
| بصرت | جيرة | أبو الأسود الدؤلي | ٢٨ |
| ذاك | الجار | هدبة بن الخشرم | ٤٥ |
| أعني | والجار | الخنساء | ٤١ |
| وليبكه | المستجار | الخنساء | ٣٨ |
| فكان | إنكار | الأعشى | ٤٠ |
| جار | عمار | الأعشى | ٣٩ |
| أنت | الجوار | الأعشى | ٩٥ |
| قد | بزوار | جرير | ١١٠ |
| أبعد | وتر | جرير | ٨٨ |
| ليت | كالغادر | جرير | ٩٠ |
| إن | بدر | حاتم الطائى | ٦٤ |
| فمن | بكر | حاتم الطائى | ٦٥ |
| أجدُّ | يغدر | أبو الطمحان القيني | ٨٤ |
| ولقد | قدر | الخنساء | ٤١ |
| المانع | كدر | زهير بن أبي سلمى | ٤٢ |
| على | معسر | عبيد بن عبد العزيز السلاماني | ٥٦ |
| فما | نصر | امرؤ القيس | ٦٨ |
| الشافعون | الناظر | الأعشى | ٥٥ |
| أولئك | مخفر | عبيد بن عبد العزّى السلاماني | ٦٩ |
| تركت | المشقر | يزيد بن مفرغ الحميرى | ٧٣ |
| ولا | بقرقر | أبو جندب الهذلى | ٤٩ |
| يالك | تستنكرى | كليب بن ربيعة | ٣٠ |
| إذا | عامر | الراعى النميري | ٣٤ |
| حامي | الدهر | الخنساء | ٤١ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| لعمري | المتنور | جرير | ٨٨ |
| لقد | ثبير | أبوجندب الهذلي | ٤٨ |
| وما | ببصير | الأعرج الطائي | ١٠٥ |
| ألا | أخبارها | جرير | - |
| لم | الجار | الخنساء | ١٠٢ |
| ولا | الجار | عنترة | ٤٧ |
| ومن | الجار | يزيد بن حمان السكونى | ٥٣ |
| وأسأل | جاره | مسكين الدرامي | ٤٥ |
| متى | قصار | مَقَّاس العائذي | ٧٢ |
| أتيناك | جارها | عبيدالله بن قيس الرقيات | ٢٦ |
| وقيس | الجوار | جرير | ٨٧ |
| فأبلغ | الجوار | زهير بن أبي سلمى | ٨٠ |
| لا يرهب | القبر | مسكين الدرامى | ١٠٤ |
| وإن | ستر | الأبيرد الرياحي | ١٠٤ |
| فمن | مسخر | بشر بن أبي خازم | ٧٧ |
| دعا | جيدر | بشر بن أبي خازم | ٧٧ |
| نارى | القدر | مسكين الدرامي | ٥٢،٢٤ |
| ألا | يتحسر | عنترة | ٤٩ |
| أو | مطر | يزيد بن مفرغ الحميرى | ٧٣ |
| ولا | النظر | - | ١٠٣ |
| ولا | محافره | تميم بن أبي بن مقبل | ٩٩ |
| وإن | الفواقر | لبيد بن ربيعة العامري | ٥٧ |
| ياليت | يثور | جرير | ٩٠ |
| مقاربه | يساوره | هدبة بن الخشرم | ٢٧ |
| أشاور | أستشيرها | حاتم الطائي | ١١٠ |
| وما | أزورها | حاتم الطائي | ١٠٥ |
| إذا | يزورها | عقيل بن علفه | ١٠٧ |
| بنو | ستورها | جرير | ١٠٦ |
| لقد | سيّار | أبو حنبل الطائى | ٤٩ |
| ألم | يجيرها | جرير | ٨٧ |
| لعمرك | غرورها | جرير | ٨٨ |
| هلّا | حضاجر | الحطيئة | ٨١ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| إذا | فجر | مسكين الدرامي | ٦٦ |
| فضل | أمر | طرفة بن العبد | ٥٥ |
| وكان | القمر | طرفة بن العبد | ٧٠ |
| وهم | حفزًا | الخنساء | ٣٨ |
| ياقوم | أناسًا | لبيد بن ربيعة العامري | ٨٢ |
| ما كان | شأس | الحطيئة | ٨١ |
| بالهمز | الحوس | الحطيئة | ٨١ |
| وتحبس | حابس | عمر بن لجأ التيمي | ٧٦ |
| ومنّا | الفوارس | عمر بن لجأ التيمي | ٤٦ |
| يقون | بؤس | الأفوه الأودي | ٥٤ |
| تبيتون | خمائصًا | الأعشى | ١١٤ |
| حصون | الدلاص | مسعود بن خرشه | ١١٢ |
| متى | ضائعًا | النابغة الذبياني | ٦٩ |
| وبسل | شباعًا | عدي بن زيد | ١٠٩ |
| أمسى | جاعًا | علقمة الفحل | ٥٦ |
| إذا | المضاجعا | أبو جلدة بن حبيب | ١٠٨ |
| غدا | مودعًا | أبو الأسود الدؤلى | ٢٨ |
| حميدة | المقطعا | جرير | ١٠٨ |
| هم | خنعا | الحطيئة | ١٠٣ |
| إذا | مسمع | طفيل الغنوي | ٦٣ |
| لعمرك | مضاع | الحطيئة | ١٠٢،٦٦ |
| جزى | مودع | طفيل الغنوي | ٦١ |
| لا | الضرع | يزيد بن مفرغ الحميري | ٧٤ |
| ومن | يرقع | الخنساء | ٣٩ |
| ومازال | مانع | العديل | ٣٥ |
| ألا | خروع | جرير | ٨٩ |
| وجارتهم | تجوع | حاتم الطائي | ١٠١ |
| هم | أضيعها | عبد بني الحسحاس | ٣٤ |
| إني | اتصفا | طرفة بن العبد | ٦٧ |
| فما | كهاف | بشر بن أبي خازم | ٧٨ |
| والجار | فينصرف | الأعشى | ٥٦ |
| وإن | كسف | جرير | ٩٠ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| وإني | ونحف | حاتم الطائي | ١١٠ |
| لجارته | شواسف | هدبة بن الخشرم | ١١٣ |
| يبيت | واصف | هدبة بن الخشرم | ٤٤ |
| طلس | دلف | أوس بن حجر | ١٠٨ |
| في | السلف | بشر بن أبي خازم | ٦٩ |
| أغر | عيوف | معقل بن حمار البارقي | ٥٥ |
| وجار | اللزاق | عدي بن الرفاع | ٤٨ |
| طويل | يرهق | الأعشى | ٥٤ |
| أتزعم | مرهق | الأعشى | ٨٢ |
| أو | فسق | مسكين الدرامي | ٢٩ |
| أتشتم | وارك | عمر بن لجأ التيمي | ٧٦ |
| هلا | أمتسك | زهير بن أبي سلمى | ٤٠ |
| ونكرم | مالا | عمير بن الأيهم | ٣٣ |
| وحبلكم | حبلا | جرير | ٩٠ |
| وأقوله | حبلا | كثير عزة | ٢٦ |
| قتل | طويلا | جرير | ٩٠ |
| أجارتكم | حليلها | الأعشى | ١١١ |
| بنو | ونابل | امرؤ القيس | ٦٥ |
| والمانعين | بتبل | سراقة البارقي | ٤٦ |
| أبت | مقاتل | امرؤ القيس | ٧٩،٦٥ |
| ولا | وارتحل | عنترة | ٧٩ |
| دع | الرواحل | امرؤ القيس | ٨٩ |
| أقول | بباطل | المتوكل الليثى | ٤٧ |
| وأغلق | القفل | عمرو بن شاس الأسدي | ٤٨ |
| أو صالحوا | مدخول | زهير بن أبي سلمى | ٤٢ |
| الأمدحن | ذهل | الحطيئة | ٦٨ |
| للجار | أخيلي | عدي بن الرقاع | ٤٨ |
| ياربط | السائل | المتوكل الليثى | ٤٦ |
| لولا | قتال | أبو الطيب | ٦٣ |
| ولم | سائله | الشمردل | ٢٧ |
| ولست | حبل | الأعشى | ٤٠ |
| بزِّني | يذل | الخنساء | ٤٢ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| وأنكحت | قاتله | المخبل | ٧٢ |
| وليتك | يفعل | أمية بن أبي الصلت | ٣٧ |
| وجادك | يقتالها | الأعشى | ٥٤ |
| ولا | تحمل | حاتم الطائي | ٩٧ |
| وجارك | يتذلل | الخنساء | ٣٩ |
| يحامي | والنزل | الخنساء | ٣٩ |
| إذا | قتلوا | أبو فراس الهذلي | ٨٠ |
| ولا | محلول | طفيل الغنوي | ١٠٠ |
| نزلت | محل | امرؤ القيس | ٦٧ |
| وما | ذليل | امرؤ القيس | ٥٠ |
| ونعم | ذليل | الخنساء | ٣٩ |
| ولا | قائمًا | امرؤ القيس | ٧٤ |
| وما | دما | بشر بن عليق الطائى | ٨٣ |
| يرى | الذماما | المتوكل الليثى | ٣٨ |
| سأذكر | عاصمًا | امرؤ القيس | ٤٠ |
| فجاور | سلما | حاتم الطائي | ٣٦ |
| لنا | فيعصما | طرفة بن العبد | ١١١ |
| هو | مكرما | الأعشى | ٥٣ |
| فسار | غانما | إمرؤ القيس | ٤٢ |
| نحمي | الأيتام | عبيد بن الأبرص | ٥٥،٤١ |
| وجارته | السنام | لبيد بن ربيعة العامري | ١١١ |
| تقول | الدّم | جرير | ٩١ |
| إذا | تقدم | عتيبة | ٧٦ |
| وقالت | خازم | جرير | ٨٩ |
| وذبٍ | المقاسم | عبيد الله بن قيس الرقيات | ٤٥ |
| دعوت | هاشم | عمر بن لجأ التيمي | ٧٦ |
| فما | المتهضم | أسد بن كرز | ٥٠ |
| رأيتك | المطاعم | جرير | ٨٩ |
| إني | مقامي | عنترة | ٤٧ |
| بفقد | والظلم | أبو خراش | ٥٤ |
| لا يبعد | الظلم | النابغة الذبياني | ٦٩ |
| أرى | النجوم | الراعي النميري | ٧٥ |

| المطلع | القافية | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| هل | توهم | عنترة | ٨ |
| إذا | خذام | عامر بن الطفيل | ٦٥ |
| وجزور | أجسامها | لبيد بن ربيعة العامري | ٥٨ |
| لو | الحكم | مالك بن الريب | ٧٣ |
| إذا | سموم | لبيد بن ربيعة العامري | ٥٦ |
| فلا | عديم | الأعشى | ٥٤ |
| ألا | ذميم | طفيل الغنوي | ٨٠،٧٤ |
| أقيس | تذم | مقّاس العائذي | ٧٢ |
| أكرم | كرم | المثقب العبدي | ٥٣ |
| خير | عم | طرفة بن العبد | ٥٥ |
| وتلقى | يبينا | الراعي النميري | ٤٦ |
| وعفف | السمينا | لبيد بن ربيعة العامري | ١١١ |
| أيام | لعاني | عبيد بن الأبرص | ٥٥ |
| ألا | غدران | امرؤ القيس | ٨٣،٧٤ |
| فقد | جيران | امرؤ القيس | ٧٤ |
| وجاري | علان | زهير بن أبي سلمى | ١٠٠ |
| وكفي | علاني | زهير بن أبي سلمى | ٤٧ |
| أبعد | عمان | امرؤ القيس | ٨٠ |
| قالت | البراذين | جرير | ٨٩ |
| نساء | كنائن | كثير عزة | ١٠٠ |
| فما | لجون | النابغة الذبياني | ٧٠ |
| وهل | خؤون | قيس بن الخطيم | ٩٩ |
| سلو | البصريا | أبو جندب الهذلي | ٤٨ |
| وكنّا | تنائيا | الراعي النميري | ٢٦ |
| ولا | مصافيا | الأعشى | ٥٧ |
| جاره | حافيا | الأعشى | ٩٤ |
| الموثقون | داعيها | الحطيئة | ٤٢ |
| ياليت | بحبالي | جرير | ٩ |
| ولست | قاليا | الراعي النميري | ٣٤ |
| وكن | حاميا | الأعشى | ٤١ |
| وآب | الزوانيا | جرير | ٨٩ |
| هل | دواعي | الأعشى | ١١٤ |



| رقم الإيداع | ١٩٩٣/٩٤٣٠ | الترقيم الدولى | 977-02-4273-X | ISBN |
|---|---|---|---|---|

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.) ٢/٩٣/٢٦٩

هـــذه رحلـــة حاولت أن تسير مع موروث عربي أصيل وخلـــق إســـلامي نبيل، وقد اتخذت الشعر زادا تقطع به هجير الصحراء وجعلته دليلا إلى موارد المروءة في أخلاق أهل الفضل ، وطافت في حدائق الشعر منذ الجاهلية حتى نهايـــة العصـــر الأموي، واختارت أقوى الأساليب وأنبل المشـــاعر واصـــدق العواطف فأوردها واكتفت بها عما سواها. وقد حاولت التعر ف على مكنون الضمير العربي الذي وافقت فيه الفطرة آداب الإسلام فعزز مبدأ علاقة الجوار وأيدها دون شطط.

## نبذة عن المؤلف :

- مـــرزوق بـــن صـــنيتان بن مرزوق بن تنباك المسروحي الحربي.
- ولـــد في بـــلاد مســـروح بالمديـــنة المنورة عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.
- أكمل تعليمه الإبتدائي والثانوي في المدينة المنورة.
- الـــتحق بجامعـــة الـــرياض قسم اللغة الغربية وآدابها وتخرج فيها.
- عين معيدا في الجامعة نفسها.
- حصل على درجة الدكتوراة من جامعة أدنبرة في بريطانيا.
- عين أستاذا مساعدا في جامعة الملك سعود (الرياض سابقا).
- حصل على درجة الأستاذية في الجامعة نفسها.

## من مؤلفاته:

١- الفصحي ونظرية الفكر العامي

وقد فاز الكتاب بجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٤٠٧هـ عن العلوم الإنسانية.

٢- الغيور والصبور

٣- الجوار عند العرب

٤- الضيافة وآدابها

٥- رسائل إلى الوطن

٦- في سبيل لغة القرآن

٧- النخبة بين إدعاء الوطنية وممارسة التحيز

٨- جمرات الحجاز